حكاية العمر كله

روايتان

وائـل سعيـد

وزارة الثقافة
الهيئة
العامة
لقصور
الثقافة

حكاية العمر كله

"الرواية الأولى"

الإهـــداء

إلى الجميلة أم المريلة الكُحلي
نور.. حبيب قلب بابا

وائــل

أولاً:
عن الحب وأشياء أخرى!

عندما أبلغتها بحبي لم يكن في بالي تبعات هذا الحب (شبكة، خطوبة، زواج)،

كم مرة أبلغت الكثيرات؟

كم مرة أحببت على روحي، كما يقولون، بغير تبعات..

- باحبك.

- خلاص.. يبقى نتجوز.

المرة التي تغير حياتك يجب ألا تكون كبقية المرات، تدخل لا بك ولا عليك، عن غير قصد، تشُدك الخيَّة! الناموس معذور إذن حين يخدعه الضوء، ينجذب للصاعق، خصوصًا أنه لم يلف أو يدور.. بلا خبرة.

هكذا قال خالي بعد زواجنا بسنة، وفي أول نزوة "ناموسية" لي. تدخَّل ليُرجعنا عن الطلاق، على الرغم من كل "الحداقه" التي أظنها في نفسي، وقد تظهر للآخرين، فإنني لم أجرب شيئًا. على الرغم من اللف والدوران، فإن خبرتي في الحياة لم تزل خبرة "ناموسية" كثيرًا ما يخدعها الضوء، لهذا أحببت بسرعة، وقوام قوام تزوجت. ها هي

التجارب التي لم تحدث حلت بشائرها مع أول موجة من موجات الحياة. الكل يعتليني، لا أعرف لماذا!

خالي صادق في بعض ما قال، وحدق كحداقتي في البعض الآخر، جائز أن تكون التجارب قليلة، محدودة وغير مكتملة، لكنها لن تعتليني سوى هذه المرة فقط.

فقد نسيت أن أقول من البداية: إنه بعد زواجنا بسنة، وفي أول وآخر نزوة لي، تدخَّل خالي وقال ما قال، معذور الناموس حقًّا!

• • •

أمي هي الأخرى شاركت أخيها وتدخَّلت، استغربت استعجالي وتورطي هذه المرة، لم أتعجل شيئًا طوال حياتي، الأيام تمر أو لا.. هذا ليس بيدي، الذي لا يُفعل اليوم نفعله غدًا بإذن الله. إن لم يتم يبقى قضاء الله وقدره؛ نحاول الأسبوع القادم. كمان شهرين. يا مُسهل! في النهاية -وكثيرًا ما يحدث- إن لم يحصل المطلوب "يبقى آدي الله وأدي حكمته". فلماذا الاستعجال الآن بهذا التورط من دون معطيات!

تعرف أمي أن معطياتي يا مولاي كما خلقتني، الفلوس تحضر لحد عندي وتعمل عبيطة، لكنها لا تعرف نظرية خداع الناموس، حتى العيال ولاد الكلب أصحابي لما شافوا الحكاية تتطور وتتصاعد بشكل غريب لم يجربوه في من قبل، استغربوا: انت كل شهرين تلاته

لك حكاية، مرة مع واحدة قد أمك.. مرة مع أم لبنتين.. المهم البطلة كما عهدناها لا بد من أن يكون عندها ألف سبب حتى لا تكتمل الحكاية، وسبب وحيد للدخول في قصتك الجديدة والمواضيع تَمُر.

أمن أجل كتابة القصص أدخل هذه العلاقات! لا أعرف. لكن ما كنت أجنيه فعلاً -كما يقولون- كان القصة. على فكرة، كلمة "علاقات" هذه عندي عدة تحفظات عليها، مبعثها أني شُفت، وعندما تشوف يتضح لك –للأسف!– أنك لم تكن ترى شيئًا.

يعني المواضيع في البداية أدهشت أمي ومعها الصحاب ولاد الكلب. عندهم حق؛ فكروني بأني كنت ذات يوم "طيب وبعقلي وابن حلال، ضارب الدنيا 30 بُلغه"، حتى الفلوس "المستعبطة" لم تؤرقني، أهو قصة من هنا.. قصة من هناك، والحياة ماشية!

يظهر إن معمول له عمل. عمل! على إيه يا حسرة! المصيبة إن الواحد يعرف نفسه لحد الكسوف. جارنا الوحيد في البيت من طرح فكرة العمل عندما رآها طالعة نازلة، خارجة داخلة، وعرف أن أمي غير مرحبة بهذه العلاقة، لم يرحب هو الآخر.

كم مرة استوقفني مشيرًا إلى أن في العجلة الندامة وفي التأني السلامة، وأنني لم أتعجل شيئًا. لا سيما أن الناموس عن غير قصد ينجذب لهلاكه مخدوعًا بالضوء.. الناموس! من أين عرفَ نظرية الناموس المخدوع؟ ومن أين أعطى لنفسه الحق في الترحيب أو النصيحة؟

أمي.. أهي أمي! خالي.. أخو أمي. حتى الصحاب ولاد الكلب. أهم

ولاد كلب. ما الذي أعطاه مشروعية التدخل غير طيف من التطفل الثقيل؟ من أين له بمعلومة عدم استعجالي المصاحبة لعمري، عمري المعيش قبل أن يُشرفنا هو وأسرته! لا أعرف!

• • •

الوحيد الذي أول ما شافها، دونما مبررات، وجدته ينشكح كما لم ينشكح من قبل في حياته، على الرغم من علمه بموضوع الاستعجال والمعطيات المنعدمة، فإنه بارك وشارك بما استطاع لذلك سبيلاً، حتى بعد الزواج وإلى أن فارق الحياة.

لهذا، من كل هؤلاء، هي لا تحب أحدًا سوى والدي رحمه الله. بالتالي تكره أمي والصحاب، بالإضافة إلى الجار الذي أشاركها كُرهه.

الحقيقة، لم يكن في بالي أي مما شغل تفكيرهم، لا استعجال ولا يحزنون، الناموس لا يرى إلا بعد الخداع؛ يكون الوقت فات والطوبة جت في المعطوبة!

من منّا خدع الآخر؟ أم أننا "انخدعنا.. انخدعنا" على رأي حسن الأسمر؟ هل نظرية الناموس المخدوع تُطبق على كلينا؟

كل ما أعرفه أني بمجرد أن أبلغتها بحبي لم يكن في بالي تبعات هذا الحب.

هل تفنطت الدنيا كالكوتشينة مرة واثنين وثلاثة؟

نعم تفنطت.. تعرفوا إزاي؟

أقول لكم:
طلع القمر علينا

عندك حق في استحضار آية المولى عز وجل﴿وكأن على رؤوسهم الطير﴾. صدق الله العظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله. لو كان جالسًا معنا عندما دخلت علينا الندوة أحد الأيام. عندك حق فيما استحضرت.

بين البيوت
لازم أداري شعاع الشمس
علشان تموت،
أرسم خيوط عنكبوت.
بين الجحور
لازم أغور.. أغور.. أغور

عندها حق القصيدة هي الأخرى أن تَسِف من الشاعر كشريط التسجيل..

(مساء الخير يا جماعة)

- مساء النور ..

- يا مساء الفل..

- يا أهلاً وسهلاً..

- اتفضلي يا هانم..

- يا سلام يا سلام..

طبيعي أن هذا ما سيحدث لأي جلسة -رجالية- فور دخول واحدة حلوة عليهم، خصوصًا لو كانوا فنانين، فما بالك وهذه الحلوة .. زوجتي!

عندهم حق مثلك، لا سيما أن العنصر النسائي مُفتقد في ندوتنا، أول مرة يشوفوه هالل عليهم، وإيه.. نسائي! نسائي مثلما قال الكتاب.

لنا في الندوة كام سنة قاعدين نرسم خيوط ونداري في شعاع الشمس علشان تموت، ولا يوجد أي جمال يوحد ربنا، المفروض إننا فنانين.. شُغلتنا الجمال!

وقتها يمكن لأول مرة أحسد واحد في حياتي، لما دخلت علينا كان برفقتها أحدنا، غير أنها -الذهلة- ما أفقدتنا رؤياه. لعنت اللي جابوني عندما قدمها هذا الـ أحدنا: الأستاذة الشاعرة. زميلته في كلية آداب. يعني لو كنت ابن ناس محترم أكملت تعليمي ودخلت "آداب"، كان ممكن أكون مكان الزميل ابن المحظوظة!

يظهر أن حظ أمي أسود، خصوصًا بعد أن جلست على نفس صفي. يعني لن توجد نظرات، لفتات، حركات.. أي حاجه تشفي غليل الواحد. لن يوجد.

لففنا الشاعر في قصيدته اللي سَفَّت ورميناه بالخارج. يجوز تكون عربية مرت من عليه.. المهم أن رئيس الندوة أمسك ياقة قميصه من اليمين ثم الشمال، تنحنح مائلاً للأمام قليلاً كأنه وراء ميكرفون، وقال بصوت دافئ، عزب، حنون: (نحب نسمع الأستاذة مباشرة..).

- فعلاً..

- أيوه..

- يا ريت..

ما قاله الرئيس والحاضرون جعلها تشد قامتها هي الأخرى، تبتسم بخجل خفيف غير مُتصنّع، ثم تبدأ في ترتيل قصائدها، كلما انتهت من واحدة طلبنا المزيد.

صوتها مثل أصوات مُذيعي الراديو القُدامى، لست وحدك من استحضر آية الله عند دخولها، الآية تحتلنا جميعًا، تتداخل آيات أخرى متراقصة حول حالتنا ﴿فأغشيناهم فهم لا يُبصرون﴾، لا يُبصرون. أبحث عن خُرم أبرة حولي لإبصارها، لا ترى عيني غير أرطال رؤوس الجالسين وتعابير "وشوشهم".

ما استطعت إبصاره بصعوبة كان كفها "المدملك"، تُقلب الصفحات وتتركه أو تُحركه من آن لآخر على سطح الترابيزة.

(عليًا الطلاق من كوع دراع أمي) على رأي نجيب سرور الله يرحمه، أُراهن على أن كل الجالسين كانوا مثلي وزيادة.. لكني زيادة حبتين!

• • •

يومها لم أُكمل السهرة مع ولاد الكلب حتى الصبح، تبعتها بعيني ونحن راحلون، يلتفون حولها كالناموس، يمدحون، يشكرون، يستعبطون.. مرة أخرى يرافقها الزميل ابن المحظوظة. إن شاء الله تخبطه عربية بعد أن يتركها، وربنا يولع بجاز وسخ في كل الموجودين.

المهم، المرة الجايه، لا بد من الجلوس بشكل يُمكّنني من رؤيتها، يا سلام لو بجانبها تمامًا، لا.. الأفضل في البداية الرؤية من بعيد لبعيد، أين أنا وجلسة كَتِلك، أوغلوا في الحب برفق أيها القوم المتفكرون!

المصيبة أنه يُعاودني حظ أمي الأسود، فتُعاود هي الجلوس على نفس صفي، المكان الوحيد المؤكد في فاعليته. كرسي رئيس الندوة ، لا بد من تدبير خطة ماكرة ومُحكمه للاحتيال على الرئيس. هدف الخطة احتلال كرسي الرئاسة الذي لا يتركه أو يستبدل به آخر في الأحوال العادية، فما بالكم وما نحن فيه!

في حالة فشل الخطة ليس هناك بد من محو الرئيس نهائيًا.. محلوله بإذن الله.

سنوات..

بمرور السنين دخلت علينا صنوف من البشر، كان من بينهم العُنصر النسائي، ذلك العُنصر المظلوم جوارها، لا تستطيع استقباله -عُنصريًا- إلا على المستوى البيولوجي فقط، مع العلم: كُلُهنَ كُنَّ شاعرات!

من الطبيعي أن تمُر مرات مختلفة وكثيرة في استقبالها، مرة أمامها، مرة جوارها، ما سر الحرارة -الغريب- التي تحتلني بمجرد دخولي حيزها الهوائي؟ حتى الآن السر مجهول لا يعلمه إلا الله.

من الطبيعي أيضًا أنها سمعت قصصي وعرفت منها أن العبد لله الفقير.. يعني، مش بطال، يقدر لفت انتباهك وجذبك معه من لا شيء، العينة بيِّنَة.. قُدامكم أو كما ترون!

الظاهر أن هذه الكتابة أعجبتها فرأيت منها نظرات يمكن تأويلها، بالتالي انتهزت الفرصة وتدخلت وقتها عيناي السهتانتان لتبدأ أولى المساحات بيننا، حتى وإن كانت في دماغي وحدي، المهم أنها بدأت.

أصبحت تعرفني؛ نتكلم، أسمعها، تطلب كتابًا أو رأيًا في قصيدة. أليست هذه مساحات؟ تطلب لي شايًا، تعطيني لبانة، "ملبس". عندما أعطس وهي بجواري تقول: يرحمكم الله.

مساحات بلا شك..

الدليل الأكبر على ذلك هو الصدفة العجيبة، العادية في نفس الوقت. في "الميني باص"، والتي أتت على بالكم الآن:

- رايح فين كده؟

- ناحيتكم.

- ناحيتنا!

- آه.. واحد صاحبي ساكن ناحيتكم.

المهم أفضل بجوارك أكبر وقت ممكن، لآخر الخط، حتى بيتكم.

هل ترون في هذا مساحات فعلاً؟ يبقى ما تفعله مع الآخرين مساحات أيضًا، كم مرة أعجبتها كتابات، كم مرة طلبت من البعض كُتبًا أو رأيًا في قصيدة، عزمتهم على الشاي، وأعطتهم اللبان والملبس، ومن البديهي أن يقول الناس لبعضهم (يرحمكم الله) وقت العطس.

أين تلك المساحات التي تخيلتها بيننا؟

راحت المساحة بين جسدينا في الهواء، كم هي جميلة الكراسي الثُنائية الضيقة في "الميني باص"! زمان، كتبت قصة عنوانها (الأمنيات تتحقق، لكنها تتأخر بعض الشيء). ليتها تتواجد هذه المساحات في يوم من الأيام، تخرج للوجود الفعلي، بعيدًا عن افتراضية المحب الغلبان، افتراضية لا يعرفها سوى من عاشها وندهته، كلما رآها حسبها ماء، وكلما اقترب وظن أنه يشرب لا يرتوي!

صُدفة من عند الله

لماذا ذهبت في ذلك اليوم للندوة وأنا أعرف أنه لا توجد ندوة!

الجمعة الفائتة التي لم تحضرها اتفقوا على أن يذهبوا مجتمعين لمناسبة لا أذكرها، مناسبة غير مهمة إذن ما دمتُ نسيتُها، احتمال يكونوا رايحين زيارة لشاعر خيوط العنكبوت، يبقى العربية مرت من عليه فعلاً.. فاكرين؟

المكان تنغرس فيه دكك الحكومة الحديدية الطويلة، جلستُ على إحداها. يستخدمها المواطنون في الصباح في أثناء سعيهم بين مكتب البريد، التأمينات، وحدة رعاية الطفولة والأُمومة. ينتشرون في المكان مُتخطين مبنى المكتبة، في نفس الوقت لا يسلم الأمر من أحد التائهين الذي يدخل المكتبة للسؤال ثم يخرج سريعًا كالملسوع.

محظوظون موظفو المكتبة؛ طول النهار قاعدين لا شُغلة ولا مشغلة، يردون على التائهين بالغلط. في إجازات آخر العام يتحملون مُضايقات عيال المدارس الابتدائية، يلعبون في شوية الكتب المصورة ثم يروّحون. فيما عدا يوم الندوة لا يفعلون شيئًا، يقضونه ورديات، كل جمعة ينتظر أحدهم لـ10 أو 12 بالليل، ليُغلق بعدنا المكتبة.

في المرات الأُول، ومن باب الفضول، قد يُشاركنا هذا المنتظر من بعيد، على كرسي منزوٍ يحاول إيجاد فائدة مما نقول، يتصعَّب وقد يسبُّنا في سره، لولانا لكان وسط عياله قدام التليفزيون، على الأقل كان ريَّح جسمه ونام. يظل يفقَّر على الكرسي طول القاعدة.

هناك من يأخذها من قصيرها وينام في المصلِّية حتى ننتهي، يناديه رئيس الندوة ونحن ذاهبون، فيخرُج فاركًا عينيه مغلُوبًا على أمره (خلصتوا يا أستاذ؟).

في نيتي التقدم لهيئة قصور الثقافة بطلب عمل في إحدى قصورها، عندما أكون وسط هؤلاء الموظفين -عديمي العمل- سيكون هناك متسع من الوقت للقراءة والكتابة، ثمة مُرتب ضئيل ينتظرني آخر الشهر لزوم الشاي والقهوة والسجائر. في شمس الشتاء أجلس على دكة من الدكك مُستمتعًا بقراءة الجرائد المتوافدة على المكتبة يوميًّا.

يظهر أن هذا التداعي أخذ وقتًا معي، لم تكن في يدي ساعة، عرفت ذلك من أعقاب السجائر تحت قدمي. أنظر على الشارع بالخارج عبر الأسياخ الحديد المحيطة بالمكان، أُعيد ترتيب العالم أو بعثرته، مُنتظرًا شيئًا غير محدد. ثمة هاجس دفين جعلني أنتظر.

لم أكن أعلم أني أنتظرها، من دون اتفاق مُسبق، لكنها بالتأكيد جاءت على بالي دونما انتباه.

- مساء الخير..

- مساء النور.

- أمال الجماعة فين؟

- أصل مافيش ندوة النهاردة..

- ليه؟

- كُلُهم راحوا لـ... (المناسبة غير المهمة التي لا أذكرها)..

- آه.. وانت عامل ايه؟

- الحمد لله..

- تشرب قهوة معايا؟

- ثواني هنادي على تولوستوى.

وأنا ذاهب لمناداة "تولوستوي" سألت وهي تجلس مكاني: أمال انت إيه اللي جابك!

- مش عارف.

لا أعرف فعلاً السبب في حضوري اليوم، لماذا لم أُشاركهم المناسبة -غير المهمة- بالنسبة إليها؟ لم تأت الجمعة الماضية، بالتالي حُضورها مُبرر، لكن ما سبب حضوري أنا؟ وحده الله من يعلم، وحده الله صاحب هذه الأفاعيل!

- عم تولوستوي.. يا حاج..

خرج من كُشكه يلتف ببطانية وينظر لي بقرف، هل سمع "تولوستوي"؟ يجوز يحسبها شتيمة!

- عايزين 2 قهوة لو سمحت.

نفضت جيوبي فخرجت بضعة جنيهات، وضعتها في كفِّه. خرج أيضًا صوتي مبحوحًا على استحياء وأنا أُطبطب على كتفه: لو طلبنا

حاجة زيادة هاتها وأبقى أحاسبك بعدين.

أكيد يسُبُّني الآن، يسُبُّ الأيام التي أوصلته لحراسة هذا المكان. المكان بالنهار حلو. الرزق معقول، شاي هنا، قهوة هناك.. طابع بوستة، ورقة دمغة.. وحدهم الملاعين بتوع يوم الجمعة، لا يأخذ من ورائهم أبيض ولا أسود، نشرب دور شاي مجانيًا على حساب المكتبة وكان الله بالسر عليم!

- إيه حكاية تولوستوي دي؟

- أصله شكله بالظبط، ذقنه، شعره، تجاعيده.. تولوستوي الخالق الناطق.

- يمكن..

- يمكن!

- أصل ماشفُتش تولوستوي قبل كده. لكن إيه اللي جابك النهاردة؟

أبلغتُها بعدم علمي للسبب فعلاً، فقالت إنها لا تعرف ما الذي أنزلها من البيت على الرغم من البرد الشديد الذي تعانيه من يومين.

- أنا عارف..

- مين؟

- ربنا..

- إشمعنى!

- علشان أشوفِك..

ها هي أولي المساحات البادئة التي تكلمنا عنها، ها هو "تولوستوي" أحضر القهوة، وضعها أمامنا ومال على أُذني مؤكدًا (القهوة بره حساب المكتبة يا محُترم)، يا ابن الكلب يا "تولوستوي". ليس هذا وقتك. اللهم اخسف بكوخه الأرض واترُكنا لما كَتَبت لنا.

- خُد يا حاج، أنا عزماك يا ابني..

- مُتشكرين يا أستاذة.

- مع السلامة يا تولوستووووي..

قلتها له كشتيمة، وإبعادًا للموقف أبلغتها بأن المسابقة المركزية السنوية لهيئة قصور الثقافة ستغلق باب الاشتراك بعد إسبوع.

- أصلي مابدخلش مسابقات.

- ليه؟

- يعني، الموضوع إنه شوية كلام بقولهم وخلاص..

حاولت إقناعها بأن الفنان دائمًا هكذا، وأن صوتها الشعري خاص ومميز عن الجميع، وهذا حقيقي -على فكرة- بعيدًا عن إنها زوجتي؛ لها صوت شعري مميز.

- خلاص، هحاول أجمع شوية الحاجات اللي عندي وأكتبهم على الكمبيوتر.

- ممكن أنتظرك ونروح نقدم سوا.. (طبعًا لن أُفوّت فرصة كهذي، أي حمار مكاني سيفعل ذلك).

- اتفقنا.

في الخارج، ونحن واقفين على المحطة، أردت تقبيل عينيها

المحمرتين من البرد، كيف جرى الوقت بهذا الشكل!

- تحبي أوصلك؟

- على إيه! هاركب على طول وأروّح.

- طيب، ممكن تليفونك.. علشان نتابع موضوع المسابقة.

- معاك ورقة وقلم.

- قولي بس، أنا بأحفظ الأرقام (ولم أحفظ أي شيء في حياتي، خصوصًا الأرقام!).

قالت: 47

رددت: 47

أكملت: 47 تاني

رددت: 47 تاني. ثم أكملت نمرتها التي استقبلتها خلايا التلقي في المُخ ولم تخرج حتى الآن، تحبوا تعرفوا باقي النمرة؟ بعيونكم!

صندوق التأمين على الماشية

عندما تدخُل شارع "عُرابي" ستجد العمارة على اليمين، بعد محطة البنزين. هكذا عرفت العنوان، وهكذا سألت حتى وصلت.

الساعة 7: أبي قفل الأسانسير وروَّح من ساعتين، موظفو الصندوق مشوا في تمام الثانية، بعدهم بساعة بتوع الضرائب.

الثالث والرابع والخامس، مأمورتا ضرائب (الأزبكية وبولاق)، في السادس بعض الشُقق السكنية ومكتب المحامي ثم صندوق التأمين على الماشية أول ما تخُرج من الأسانسير تجدُه على يمينك. أو كما قلت لها (هتلاقيه على يمينك أول ما تخُرجي من الأسانسير).

المكان الذي سنختلي فيه ببعضنا لأول مرة، بعيدًا عن عيون المتطفلين ورزالتهم، دون زحام، ما السر في عدم تخوفنا من الخضة الحكومية للمكان؟ لو حضر أي موظف أو رآنا جار وقام بالتبليغ ستنكب المُصيبة على رؤوسنا بلا شك أو رحمة.

لن يشفع لي كوني ابن عامل الأسانسير، أبويا نفسه متورط معنا في المصيبة. من أين حصل عل مفتاح المكان الحكومي!

س: من أين أتيت بمفتاح المكتب؟

ج: من أبويا.

س: من أين أتي أبوك بالمفتاح؟

ج: من منصور ساعي المكتب.

س: لماذا؟

ج: كي يشطُف وشه بعد الشُغل ويترك حاجاته بالداخل.

س: يا سلام!

ج: في المقابل يقوم بكنس المكتب قبل أن يمشي، وهذا ما فعلته اليوم عنه.

س: ما سر تواجُدك في مكان حكومي بعد مواعيد العمل الرسمية وأنت غير تابع له من البداية؟

ج: كنت أشطُف وشي وأعدل هدومي مُنتظرًا ميعاد الندوة..

س: ندوة!

ج: آه.. ندوة نقابة الصحفيين.

س: وبعدين؟

ج: ولا قبلين، إذا مررتَ كل ذلك وأنت مُحقق، هل ستُمرر وجودها معي في المكان، كيف ستكون الجريمة وقتها؟ فعل فاضح واقتحام مكان حكومي دون سبب! ابن عامل الأسانسير يصطحب معه مُدرسه للقيام بفعل فاضح، عامل أسانسير يؤجر مكتب صندوق التأمين على الماشية لتسهيل الدعارة!

سيُصاحب ذلك أيضًا إلباس جميع عُجُوزات الصندوق وتلفياته وسرقاته منذ أن تم إنشاؤه، غير بعيد أن تُحاسبوني على الماشية هي

الأخرى. واحدة واحدة، البهيمة عندما تقع يا سادة ما أكثر سكاكينها!

يتم استدعاء أبي في الصباح بعد عرضنا على النيابة المسائية، وبدلاً من قضاء عدة سويعات في الوصل بعيدًا عن العيون، يستقبلنا قسم الأزبكية بصولاته وعساكره ومخبريه، في قضية ستقلب موازين حياتنا دونما أمل في انعدالها مرة أخرى.

هل حسبت ذلك من قبل أو جاء على البال؟ لم يحدث إلا بعد الزواج. مرة من المرات، ونحن جالسان نتذكر، ونُفند المواضيع والسنين، عرفنا أنه لولا ستر الله ورحمته كُنا دخلنا فيما لا طاقة لنا به.

الاتفاق أن ترن بالموبايل على التليفون الأرضي فور وصولها، رنة واحدة أطلبها بعدها.

- وصلتي؟

- أنا تحت العمارة..

أفتح الباب بشويش مُستطلعًا الخارج، داعيًا كحرامي يزحف على المواسير أن يسترها الله معه ويعديها على خير.

تحدف نفسها عبر الباب الموارب فور خروجها من الأسانسير، وتُزيح جسدي بالراحة.

- انت واقف تستقبل خالتك!

عندها حق، على الرغم من الترقب والوضع الخطر أصلاً، والحرامي، والمواسير، فإنني أقف خلف الباب في هدوء وطُمأنينة!

لماذا كل هذا النهجان؟ ماذا لو صعدتِ الستة أدوار على السلم!

تُخبئ نهجانها داخل صدري وتغلق الباب من خلفها بضربة رجل.

- اتفضل استقبل براحتك يا سيدي..

نسير إلى أول حُجرة مُجتازين ممرًّا طويلا نسبيًّا وهي داخل صدري، هناك. أُمطرها بوابل من القبلات على رأي الكُتاب القُدامى، فرحًا بهذه الخالة التي لم تكن على البال.

تهدأ أنفاسها تدريجيًّا أو تزداد، ثم تطلب سيجارة وتخلع الجاكيت وتجلس.

- حلو الكت اللي لابساه ده..

- الكت بس!

- واللي تحته طبعًا..

بديهي أننا فعلنا مثل والديكم كما تعرفون، مرة.. اثنان.. يجوز ثلاثة، غير عابئين بالهدوم الشتوية السخيفة دليل العُري الجُزئي.

يُدغدغنا هواء الشارع فور الخروج من العمارة تباعًا لعدم لفت الأنظار. نحلُم بذلك اليوم الذي سنتمكن فيه من العُري الكامل مُلتذين به بعد الانتهاء. نظل في السرير نحكي عن أشياء إن بدت لكم تسؤكم، نحن الطهارة الراغبون في الوصل. دون قيود أو تفاصيل، نحن الاشتهاء المُطلق الذي لم يخطُر على بال.

يا كل هذا التمني، يا كل الرغبات العارمة. وحده الله من يستطع التصرف معكم!

نفترق عائدين للبيوت كل واحد بما فيه، تسهر هي -كما تقول- طوال الليل في استحضار اللحظة، تأتيها في الأحلام مؤرقة مضجعها

كالكُتاب أيضًا، بينما أحاول الكتابة في البداية، وعندما تستعصي، وهي عصية بطبعها، أبحث عن الصحاب ولاد الكلب من أجل الشُرب معهم حتى الصباح واجترار ما حدث!

ثانيًا:
عم سُكر

يوم الخميس بعد العصر تركب المترو وتنزل محطة جمال عبد الناصر اتجاه ش 26 يوليو، بعد السلم على طول صيدلية الإسعاف، ثم بعد أمتار تدخُل نقطة الإسعاف الطبية، عدة خطوات أخرى يكون "عم سكر" واقفًا على باب البوفيه، تحديدًا في منتصف الباب. يتابع تشطيبي ويخلي باله من البوابة لحين عودة "جمال" -بتاع الأمن- من الحمام.

(المدام وصلت يا عم. سيبني أنا أكمل تشطيب وغير هدومك)

- سلاموا عليكوا..

تقولها برخامة صوت مُذيعي الراديو القُدامي؛ كما تعرفون الرخامة هنا ليست لفظة عامية للوصف، إنما هي الصوت الرخيم.

- وعليكم السلام يا ست ورحمة الله ، أفتح لك حاجة ساقعة والنبي؟

ما قاله "عم سكر" هو المقصود بالرخامة سالفة الذكر، رجل رخم!

"عم سكر" فعلاً رجُل رخم بالمعنى العامي. الخميس بالذات

يُصر على تكرار شراب جوزة الطيب المغلي عدة مرات، كل مرة يناولني ثمرة بعد تربيعها أربع قطع، يؤكد أني سأدعوا له الليلة.

- أي والنبي هتدعي لي!

بينما تغلي القطع داخل الكنكة النحاس على البوتاجاز. تفور المياه وتنخفض ممتلئة بلون الحبة البُني، تفور داخل ذهني عدة أشياء مُرتبطة بالدعاء لعم سكر الليلة بدافع جنسي.

على الرغم من كِبر سنه وموت أم العيال من عشرين سنة، فإنه لم يزل بهاجس جنسي يبحث عن مُسخنات أو مُهيجات للموضوع!

هل الهاجس الجنسي مُصاحب للإنسان حتى في سنواته المتقدمة؟

أظن أن أبي آخر مرة فعلها من عشرين سنة، أتت المرة بآخر عنقودنا أخي الأصغر، خصوصًا أن الوالدة بعدها استشيخت وأصبحت العيال الصغيرة بشنبات لا يصح أن يلمحوا أن ثمة علاقة بين أبوهم وأمهم!

إنها تركيبة مُجتمعنا، لا بد من أن تُصبح زوجتك أختك في نهاية الرحلة، ويا ريت يكون من البداية، بعد ما يجيبوا عيلين يحمدوا ربنا ويحترموا نفسهم.. لذلك ترون أمهاتكم وآباءكم وهم نائمون وباب الحجرة مفتوح، على ضوء اللمبة السهاري الصغيرة ترون دليل البراءة من اجتماعهما غير الأخلاقي!

طبعًا هناك مئات الأسباب المعقدة مُكَون هذه النتيجة، يعني مجتمعنا ليس خِلقة عن باقي خلق الله، على الرغم من أني أراه خِلقة، المهم تفاصيل هذه الأسباب ستكون من مهام علماء النفس والاجتماع، ستظل لكل قاعدة شذوذ. من الفرق خلق الله تعدد الكائنات والأشياء. عم حسن فلته من فلتات القواعد. ويفوق عم سكر في هواجسه.

صاحب بوفيه أيضًا، وقتها هو الواقف على النصبة وأنا في الأرضية أوزع المشاريب. المواضيع هنا ملمومة بين جدران مأمورية الضرائب، لكن مع عم سكر الوضع مفرشح، بوفيه نقطة الإسعاف على الشارع، مشاريبُه تتخطى الحيز المكاني للباعة في الخارج، هذه مُتطلبات شُغلانة الأرضية مع عم سكر، فموظفو النُقطة.. يجيبوا نُقطة.. ما بين خمسة منهم يوجد ثلاثة على الأقل عندهم سخان وسكر وشاي لا ينتفع منهم عم سكر إلا بواحد قهوة أو حاجة ساقعة كلما أتى ضيف.

لن تكفي ملاليم البقية لدفع الإيجار واليوميات وحسنة عم سكر نفسه، لهذا كان لا بد من البيع في الشارع.

بصراحة الرجل خيّرني في البداية، إما الوقوف على النصبة بعشرين جنيه في اليوم، وإما البيع في الشارع بنفس العشرين جنيه. ما دام الباعة لن يتركوا "تيبس" فلا داعي لمرمطة الشارع.

كنت كل يومين ثلاثة أخرج لشراء باكتة سكر من "مجمعات النيل" اللي ورا "دار القضاء العالي". مرة وأنا خارج من الجمعية، بالشبشيب، قميص الشُغل مبقع بالقهوة والعناب، أحمل الباكتة على كتفي، اصطدمت بالمخرج رضوان الكاشف الله يرحمه.

- أستاذ رضوان.. لا مؤاخذة!

- ولا يهمك.

- أنا بحب أفلامك قوي يا أستاذ.

- ربنا يخليك.. شكرًا.

- أنا كاتب قصة، كنت عايز حضرتك تشوف شوية حاجات يعني.

تحولت نظارة رضوان إلى عدسة كاميرا، جابت اللي خلفوني من أول باكتة السكر لغاية الشبشب!

يجوز يكون بيختزل المشهد والشخصية من أجل فيلم مثلاً، إحنا فنانين زي بعض وفاهمين، يجوز أيضًا يكون بيسخر من شططي، بيلعن أم فترات المراهقة بخواطرها التي يعتقد فيها الكثيرون أنهم كُتاب، لا سيما وهو لم ير من قبل كاتب قصة يحمل باكتة سكر ويمشي بمحاذاة "دار القضاء العالي" بالشبشب!

كده يا عم رضوان. يخونك "عرق البلح" و"سارق الفرح" والعيش والفن، فعلاً.. عدوك ابن كارك!

- أنا آسف لو كنت أزعجت حضرتك..

يرتبك للحظة ثم ينفي ذلك داعيني لمقابلته بعد أسبوع في المكتب.

- عارف العمارة اللي فيها..

- شركة مصر العالمية يا أستاذ.. عارفها طبعًا..

- في انتظارك إن شاء الله..

ظلمنا الرجل، أكيد لم يقصد سوى اختزال المشهد بدافع سينمائي، الأسبوع القادم أروح المكتب.. "رضوان الكاشف" و"يوسف شاهين" مرة واحدة، وسكة أبو زيد كلها مسالك، يا ما انت كريم يا رب!

في ذلك اليوم، هل كانت السخونة التي أصابت روحي بسبب "الكاشف" أم بسبب مشروب "عم سكر"؟ انتوا نسيتوا ولا إيه! حكاية

"رضوان الكاشف" عرضية، لكن احنا كنا واقفين عند يوم الخميس وطقوس "عمي سكر وحسن" المتشابهة، تأكيدهما على دعائي لهما الليلة، وكل ذلك استدعى الجزء التنظيري للنظرية الجنسية عند المصريين.

....

....

يطبق العشرين جنيه في الخباثة ويحطهم في يدي، لكنه لا يفتح حاجة ساقعة للمدام.

- مع السلامة يا دكتورة..

....

....

- فاكر لما افتكرني دكتورة من الوزارة أول مرة أجيلك؟

تسألني وهي تحُط العشرين جنيه في شنطتها بخباثة هي الأخرى غير عابئة كونها تشبه دكتورة جايه من الوزارة.

- فاكر..

حكاية المئة جنيه السحرية

في العدد رقم كام ألف 564 من جريدة الأهرام سنة 2000 وشوية، بعد قراءة حظك اليوم، انظر إلى المربع المجاور "صدق أو لا تصدق" ستجد رسمًا تخييليًا لي ولزوجتي تحت عنوان مئة جنية سحرية: (عام 2003 استطاع زوجان حديثا الزواج من العيش لمدة شهر كامل من دون أن يعمل أحدهما بمئة جنيه فقط، على الرغم من أن نفقاتهما تفوق ذلك بكثير، إيجار الشقة مثلاً 150 جنيهًا لوحده).

الأخوة أصحاب الذقون لن يندهشوا من ذلك الخبر، سيحكون لك كيف أن رسول الله عليه الصلاة والسلام وصحابته كانوا يعيشون بدراهم معدودات أو ببعض التمرات!

إنها بركة الله..

إذا –نفضت– الواحد فيهم لن تعثر في جيبه على عشرة جنيهات توحد ربنا، هذا هو منهجه.. على بركة الله، يقف طوال النهار أمام أحد الجوامع يبيع السواك من أجل السُنة.

يترك في البيت عيالا كثيرين، أتى بهم واحدًا وراء الآخر من أجل نصرة الإسلام، كي يتباهى بهم الله ورسوله بين الأُمم يوم القيامة!

هؤلاء العيال تنعدل صحتهم شهرًا في السنة، عندما يشد رب الأسرة الرحال بنية الاعتكاف طوال شهر رمضان بمسجد (المعتصم بالله، المنتصر بالله.. سيف الله المسنون). المهم أنهم بيقدموا وجبتي السحور والإفطار طول الثلاثين يومًا.

لو أن السنة كلها رمضان. لو إننا لم نزل نستخدم الحطب ونحمل الماء من مكان لآخر، كانت المواضيع تبقى على المقاس، اذهب فاحتطب فيذهب ليحتطب، ما أجمل السير على درب السلف والتابعين! "السواك" أيضًا من جنس الحطب، كلما أذن المؤذن للصلاة دخل ليصُلي وترك فرشته في معية الله، ثم يخرج يتابع بيعه الضئيل شحيح الربح، بعد صلاة العشاء كثيرًا ما يأتي بعض الأخوة بعقيقة يرزق الله من خلالها العيال في البيت برغيفي لحم وأرز.

أليس فيكم رجل رشيد يقول لهذا النطع أن الله ورسوله بريئان مما تؤفكون؟

....

صدق أو لا تُصدق، العيش بمئة جنيه شهرًا كاملا. آكلين.. شاربين.. كل يوم تقريبًا يا لحمة يا فراخ، دفعنا اشتراك وصلة "الدِّش"، ولم نمتنع عن شراء الأهرام يوم الجمعة، والسجائر "يوم بعد يوم".

بركة الله موجودة في كل شيء، لكنها مغلوطة عند السُّني وغير مفهومة عند مُحرر الخبر، الحكاية لا سحر ولا شعوذة، اللحمة والفراخ كانوا مُخزنين في الفريزر، أهرام الجمعة بخمسين قرش،

انقطاع إرسال الدِّش المستمر الشهر اللي عدى جعل لنا في ذمة المتعهد شهرًا بالمجان.

الشيء الوحيد الباقي هو إيجار الشقة الذي لم يُدفع ولا يعرف أحد كيف مرَّ موضوعه، أظن أنها بركة الله مع بعض من مساحة محرر الأهرام التخيلية!

بوسي كات
مطعم وبار

(أول مرة)

في اليوم الأول:

طلب مني "حسين بوكه" حلق دوجلاس ذقني، فهي ممنوعة في شُغلتنا، طلب ذلك بعد أن نقر على رأسه نقرتين بإصبعه، سنعرف بعد ذلك أنها لازمة تُصاحبه كلما طلب شيئًا من أحد مرؤوسيه. الترقية المفاجِئه ليُصبح المدير وهو لم يزل حديث العهد بشيل زجاجات البيرة وكنس الأرضية ومسح الزجاج، بالإضافة إلى تغيير طفايات السجائر على الترابيزات وتنفيضها. مرة واحدة يبقى مدير الجميع بما فيهم القُدامى والأكبر سنًّا منه، كخالي مثلاً الذي لا يتهاون في شتمه بوالديه كُلما صمم على شيء أهبل.

بهذا يكون سبب حركة نقر رأسه في اللاوعي مُداراة توجسه وارتباكه في مواجهة الآخر، ما دام الموضوع هكذا يبقى الآخر يا عم "بوكه" بيقول لك حاضر. إن شاء الله وأنا جي بكره.

- لأ.. لازم دلوقت قبل أي شُغل.

رد "بوكه" ببرود فعرفت أن لزمتهُ الارتباكية مجرد عادة لا تحمل أي ارتباك أمامي، ثاني مرة في حياتي أشتري ماكينة حلاقة تيك آواي. أبويا طول عمره يحتفظ بعدة للحلاقة: فُرشة وماكينة وأمواس وعلبة صفيح صغيرة لزوم تنظيف الماكينة وبل الفرشاة.

دخلت على "الجعبري" السوبر ماركت الملاصق للكافيتريا، ما زال كما هو أبيض في أحمر، وشه بيبُق دم. هل سيذكرني؟ لقد كان أحد مُفرداتي الحياتية الجديدة، في أجازة خامسة ابتدائي وطئت أرض "بوسي كات"، المكان السحري الذي سيُريني ما لم أره في حياتي.

وقفت على الحمام، أناول الداخل مناديل ورق ثم أُعطرهُ ببختين كولونيا بعد الخروج.

- شُفيتم يا باشا..

- شُفيتم ايه يا ابني.. انت واقف علي باب ميضة!

بعدما اعترض أول خمس ست زبائن على وقوفي ساكت كالصنم، كان لزامًا عليّ أن أُضيف إلى منديلي الورق وبختين الكولونيا كلمتين من باب الذوق.

ففكرت في شيء يُناسب جو الحمام، جربتهم معاه دون أن أعي شبهه بعلي الشريف، صوته، طريقته في الكلام، حَوَل عينيه، لم يُخفني هناك وأنا طفل نفس مخافتي الآن كلما استرجعت المشهد.

أعجبتني لعبة المناديل، بعض الأوراق وبخات الكولونيا مقابل أوراق نقدية. فلوس يعني، أول مرة أشيل فلوس بالمعنى داخل جيبي، بعد ما أرَوّح نجلس أنا وأمي نرُصها فئات فوق بعضها ونجمع الناتج

الذي لم يقل عن عشرين ثلاثين جنيهًا. لاحظ أن هذا المبلغ وأنا في أجازة خامسة إبتدائي.

إرث "بوسي كات" القديم، أولى التجارب الحياتية المُبكرة، من أول التدخين وشُرب الخمرة كالأفلام وصولاً إلى الملامسات الحسية لأُنثى مُكتملة، بدلاً من تجربة ابنة صاحب الحضانة التي نقلت لي "الجُدري" المحفورة آثاره على وجهي حتى الآن.

أحلى حاجة كانت في المُضيفات أنهن يُسلمن علينا في الصباح بالبوس والأحضان، وممكن في أثناء النهار أيضًا. أحببتُ من بينهن خطيبة المدير، أعجبني وشها الرومانسي من فوق ومؤخرتها الممتلئة من تحت. أحمل صورة غريبة من الأفلام العربي على أن الرومانسية والبدانة لا يجتمعان.

سعاد حسني مثلاً لو كانت بدينة هل كانت ستصبح نموذجًا؟

عندما بحت بحبي لأحد الأصدقاء من أجل المشورة، أبلغها ومن ثم أبلغت هي خالي الذي حضر بصحبتها والصديق وشخط فيًا: انت بتحب منى؟

آه.. اسمها كان منى تقريبًا، ارتبكت بشدة كارهًا الصديق وكارهًا خالي الشاخط فيًا لأول مرة، لم أعرف كمية البكاء التي بكيتها إلا بعدما أخرجت وجهي من بين نهديها ورأيت بلل بلوزتها.

بعدما انفضّ الجمع، بقيت أنا والصديق الغادر الذي كان يضحك على بكائي ويبلغني بأني ابن محظوظة. الواحد لا يُمانع حتى لو ضُربَ بالجزمة، في مقابل أن تأخذه منى في حُضنها مثلما أخذتني.

اتضح لي وقتها أن نهديها ممتلئان مثل مؤخرتها، فبدأ نموذج الحبيبة الرومانسي يأخذ أوجهًا أخرى.

- بوسي كات؟

- آه.. انت مش اشتغلت فيها شوية وانت في ابتدائي..

ليلة اليوم الأول هي اليوم الأخير في شهر المئة جنيه السحرية عندما زارنا خالي وعرف أني بغير شُغل، اقترح عليَّ أن أنزل معاه "بوسي كات".

أحسستُ برغبة في البكاء أمام خالي خجلاً من بكائي القديم، المهم أن شيئًا ما يلوح في الأُفق -كما يقولون- يحمل رائحة البيرة وملمس الفلوس وتعدد الحالات، الإرث القديم يطفح مرة واحدة إثر دعوة خالي!

• • •

(ثاني مرة)

على استحياء حركتني المُضيفات من جهة و"بوكه" وخالي من جهة أخرى، 2 ستيلا سُخنة لترابيزة 25، طبق ترمس وخيار على ترابيزة 15، غير الطفاية للزبون قبل أن تأتي بشيك الحساب. العشرون ثلاثون جنيهًا بتوع خامسة ابتدائي، أصبحوا سبعين تسعين.

تأتينني كل خميس برضوا، لكن بعد العشا، وقت تغيير الوردية. بدلاً من منقوع عم سكر المغلي، أخرج معها دماغي عمرانة بيرة وويسكي وحاجات لا أعرفها، أدعو لخالي في سري.

نجيب وسط البلد من رأسها لقدميها في خمس ست ساعات، ندوات وعروض أفلام أو معارض، ثم نشتري كتبًا وجرائد وسجائر LM وبعض الزجاجات ونرَّوح.

بعد حوالي خميسين ثلاثة أربعة امتنعت عن المجيء يوم الخميس، حتى المشاركة لم تحتملها، ثم عافت الطعام في النهاية. أبلغوها في معمل التحاليل بأنها حامل في الشهر الأول.

موعود بالتجارب الأولى في حياتي مع "بوسي كات". حمل، ولادة، بابا، ماما.. هل هو قدر أن تكون مُعايشاتي الأولى محتومة بهذا المكان؟

أول مرة يفصلنا شيء، حتى وإن كان هذا الشيء هو حملنا المنتظر. من جهتي لم أتعودها هكذا، من جهتها رأتني "ندل" في عدَم مرواحي معها "السونار" لمعرفة نوع وحجم المولود، الدكتور في المتابعة يسألها:

يظهر إن البيه مشغول طول الوقت أو مسافر!

لم يقابل حالة حمل منذ أن تخرج في الكلية لم يأت فيها الأب في المتابعة، إلا لو كان مشغولا أو مسافرًا. ما يضايق الطبيب هو عدم ممارسة لعبته السحرية التي تفغر أفواه الرجال أمامها، يخفف النور وتستلقي زوجتك علي "الشوذلونج"، تدهن الممرضة بطنها بسائل لزج، فيُحرك بسهولة "ماوس" متصلا بشاشة كمبيوتر، ترى من خلالها كائنًا ليست له معالم يُذكرك ببرنامج "العلم والإيمان"، يُخبرك بأن هذا جنينك. هذا نبض قلبه، تلك الزوائد ستكون أرجُلا وأذرُعا فيما بعد، هذه المرة "جلت" منك يا طبيب، رأيت ذلك في التليفزيون من قبل، لن يُدهشني مثل بقية الرجال. ثم إننا من البداية اتفقنا علي عدم الخلفة، وهي التي حنثت بوعدها، مالي ومال "السونار" والقيء وعيل لا أرغب في حضوره!

يا دوب، إرث "بوسي كات" القديم نستطعم حلاوته، أخيرًا الفلوس عرفت طريق جيبي. نحيا، نكتب، نفن. نرتاح من هدة حيل الزواج. خبط.. لصق.. عيال ومواويل لن تنتهي، لن ألعب معكِ هذه اللعبة حتى وإن كنت حبيبتي.

رَكزت في "بوسي كات" مُبدعًا في اشتغال الزبائن، خصوصًا الأخوة العرب لجلب "التيبس" الذي هو في قول آخر يُسمى "بقشيش". مُستعينًا بالمضيفات من حولي وحالة الشُرب المستمرة. أصبحتُ البرنجي -كما يقولون- في أقل من شهرين بالكمال والتمام، حاكم أنا عفريت في المسخرة والكلام الفارغ!

• • •

(ثالث مرة)

كثير من المعارف والأقارب اشتغلوا في "بوسي كات"، لم يحدُث في تاريخها أن أمسك قريبان "تيبس" الصالتين "فوق وتحت" إلا معي أنا وخالي. نبتسم لهم في بداية اليوم ثم نُريهم جيب البنطلون اليمين فارغ، هذا الجيب ما سنُجمع فيه "تيبس" اليوم.

وسط النهار يحدث أن نُرسل الواد بتاع الحمام لشراء علبة سجائر، رُبعين فراخ، طلبات للبيت من سوق "التوفيقية". يعترض أحدهم بود مُصطنع (هو كله من الجيب اليمين.. مفيش مرة تسلموا على الشمال!) ما يتبقي بعد المصاريف نوزعه بالتساوي على بقية الاصطف، كلنا مثل بعض. إذا رأينا زيادة عن المعتاد اليومي نقوم بإرسالها للجيب الشمال فورًا!

لأول مرة -كالمُعتاد في المكان- أرى طاقة غريبة لم أعهدها فيَّ، طاقة تستطيع اللعب بالبيضة والحجر. هي في حملها وحيدة، بينما أحاول عدم الانزلاق وراء موجة حداقتي الجديدة علي حياتي. طول الوقت موجات الحياة صد.. رد.. بين قصر اليد وقلة الحيلة، مرة واحدة تُصبح الفلوس عديمة الطعم من كثرتها، مرة واحدة إشارة من يدي كفيلة لتحريك الجرسونات والمضيفات.

المضيفات اللاتي يلعبن حولي بصدورهن وأردافهن على أنغام رغبتي الطارئة، الملحة للانفلات، يالا إرث "بوسي كات" القديم!

• • •

في الشهر التاسع كُنا واقفين على الطلاق، عندما تدخل خالي لإرجاعنا وطرح نظرية "الناموس المخدوع"، تذكرون وقفته طبعًا وهو يتحدث عن الحداقة التي أظنها في نفسي.

مُضيفات "بوسي كات" مجرد عاهرات لا تساوي الواحدة منهُن جناح بعوضة، تقوم تنهي حياتك الزوجية!

في الطالعة والنازلة يُناقشني في ذلك، يرجوني تخفيف الشُرب، كل يومين ثلاثة يندهوه (الحق ابن اختك سكران ومنيل الدنيا)، مرة بلعت نصف كأس راجع من على ترابيزة على بُق واحد، طِلع الزبون ابن اللذينة مطفي فيه سجائر، كنتُ عميان شُرب فاهتاجت معدتي ولفظت كل ما فيها، روحي ستخرج مني وخالي بجواري مخضوض يسأل المحيطين عما أصابني. عندما عرف ضرب كفًّا بكف وبحس أبوي يشوبه الحسرة قال: أنت أي خرا كدا تزيحهُ وخلاص!

ثاني يوم جاءني بعرض جديد:

- تحب تاخد فلوس تعمل بيها مشروع تاكل منه عيش؟

- أحب..

قلتها وأنا أودع إرثي القديم "بوسي كات"!

يوم الميلاد.. يوم الوفاة

قبل النزول للولادة عملنا "....". يقولون إنه بيساعد على الطَّلْق ويسهل الطريق للمولود، على الرغم من أنها ستلد "قيصري"، عملناه، هل هو توديع خفي تواطأنا عليه؟

اشتريت علبة سجائر بسوليفانها، سأزرع الطرقة رايح جاي، مولعًا سيجارة من سيجارة حتى تخرج من حجرة العمليات. هل أشتري علبة أُخرى؟

الدكتور كالعادة رفض طلبي مُصاحبتها في أثناء العملية، على الرغم من علمي برفضه قلت أسأل.

- لا إله إلا الله. خلي بالك من نفسك.

- محمد رسول الله.. ما تخفش يا حبيبي.

دخلت هي، ومن مُخيلتي خرجت كل مشاهد الأفلام: يا رب، ولد، بنت، بقالها أكثر من خمس ساعات، معقول كل هذه المدة، يا رب تقوم بالسلا...... انخلع الباب فجأة إثر خروج الطبيب ومُعاونيه، رأيت قلبي ينخلع أيضًا من ضلوعي. يا نهار أسود.. أول سيجارة لم تزل بيدي!

- خير يا دكتور؟

- خير يا سيدي، المدام بخير والأمورة زي الفُل.

فُل! بهذه السرعة قبل انتهاء أول سيجارة؟ امال فين الطُرقة.. رايح جاي.. صحيح شُغل أفلام!

إكمالاً للنهج السينمائي، كانت وهي تخطرف من البنج نسخة طبق الأصل من "نبيلة عبيد" في مشهد كهذا، توصي الجميع من حولها بصوت ثقيل بأن يخلوا بالهم مني، ليس لي سواها في هذه الدنيا، سأتيتَّم من بعدها حتمًا.

أمي كانت واقفة في المشهد، لكنها لم تعترض على موضوع اليُتم هذا، تعرف أني عشقتُها طوال العشرين سنة الأولى من حياتي. كانت قارئي الأول والأوحد في بعض الأحيان، كلما كتبت شيئًا طلبت سماعه، كلما تراصت السنين في سجلي المدني وتغيرت -الرؤية- تصاعديًّا. وجدت صعوبة في فهم كلمات مواضيعي، خصوصًا أن الكتابة أصبحت حكايات سردية بعدما كانت أغاني وقصائد، كلماتها الموزونة كانت سببًا في سهولة التلقي.

عرضوا عليَّ المولودة لحملِها والتعرف عليها، لكني مشغول مع "نبيلة" التي تئن في تناغم وتواصل توصياتها. ليس بيني وبين المولودة غير تلك الراقدة على السرير تئن من الوجع، مُغمضة العينين. ليس وقتًا مناسبًا للتعارف يا ابنتي!

مع الشروق بدأت تفتح عينيها، اعتدل صوتها تدريجيًّا وأول ما تكلمت سألت عن الصغيرة، (لسه مش عايز تشوفها؟) سألتني أمي

وهي تعرضها فوق ذراعيها على طبق من فضة، قطعة لحم عجيبة الشكل والملمس، تنظر للاشيء ويخرج منها دفء غريب.

بمجرد أن لامست خدها بشاربي، فركت قدميها وشوحت بيدها مُعترضة على هذا الشارب، في نفس الوقت لم يُعجبها تأخري في التعرف عليها حتى وإن كان السبب أمها!

نفس رائحة أمها، هل يحتمل قلبي الرائحتين في ذات الوقت؟ أظن أن قطعة اللحم العجيبة هذى سوف تُطلع أيمانات اللي خلفوني كلما كبُرت.

الموبايل رن. (جائز للخروج من تيار الوعي اللي طفح فجأة). خرجت في الطرُقة للرد.

- صباح الخير يا معلم.

- صباح الفُل.

- خير. ربنا كرم وللا لسه؟

- الحمد لله.

- ألف مبروك يا ريس، احنا كمان الحمد لله الحاج مات امبارح ودبحوا على روحه عجل ونصيبك منحاش في التلاجة.

الحاج الفلسطيني الجنسية، الموجود في مصر من تسعين سنة قرر أو قُرر له من قِبل الرحمن أن يترك الدُنيا يوم ميلاد ابنتي.

أشعلتُ سيجارة مُستقبلاً بها الشمس الحاجلة من الشباك، بينما الممرضات يحجلن حولي من أجل حلاوة المولود. في ذلك الوقت تتمنى أن تُغمض عينيك وتفتحهما تجدكم جميعًا على السرير في البيت.

أغلق التليفون ودوّر بالملاءات على أي خُرم إبره حوالين الشيش، أعقاب الأبواب، المنور. يجب تهيئة الجو من أجل الاحتفاظ برائحتي لحمتيكَ الكبيرة والصغيرة دون أي تسريب. هل سيحتمل قلبي رائحتهما معًا؟

قفلت التليفون فعلاً وسددت كل المنافذ، ثم انسللت بهدوء أسفلهما على حافة السرير تحت الباطنية. غير مُتأكد هل أنا في حلم أم صاحي، الشيء المؤكد أننا رُحنا في نوم عميق، فقد أبلغونا بأنهم كانوا سيكسرون الباب علينا من الخبط طول النهار. دون مُجيب!

لعبة الاحتمالات
س، ص

الرمز هو الشيء الأكثر في حياتنا اللاعب كل الأدوار. هذا ما قالته لتبسيط مفهوم الرياضة لمخي العاجز عن فهم دور الرمز الرياضي. مُعادلة "س، ص" القائم عليها جل منهج الرياضة، يُمكنك تعويض ما تُريد مكان "س" أو "ص" للوصول إلى النتائج المرجوة.

فإذا كانت هي "س" يكون المعطي الآخر "ص" هو أنا.

دعونا ندخل المعادلة على وجل، بهدوء، عندما أخذ "ص" من خاله مبلغًا "سلف" -سيف حياء- من أجل تكملة حياته بعيدًا عن "بوسي كات".

بعد تفاصيل البحث عن المحل والتوضيب والفرش حمل "ص" الخطاب الآتي:

(من مدير إدارة حسابات عملاء الخدمات الدولية

إلى مراقب العلاقات التجارية

سنترال – شبرا

تحية طيبة وبعد

أتشرف بالإحاطة بأن العميل: "ص" تقدم بالمستندات للقطاع

الدولي لفتح مكتب بيع خدمة للجمهور بالعنوان المذكور.

رجاء عمل اللازم نحو التعاقد مع العميل على التليفونات مع سداد 2000 جنيه تأمينًا عن كل تليفون محلي و3000 جنيه عن كل تليفون دولي، مع إخطارنا بما ستجد.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

مدير إدارة

حسابات عملاء الخدمات الدولية

قطاع الاتصالات).

إذا كان "ص" كذلك، فإن "س" هي الأخرى لن تخلوا من الهم، فحتى قلوع المراكب مهمومة!

(يشهد مركز تدريب المركزية

بأن السيدة "س" قد اجتازت بنجاح دورة تنمية ريفية وخياطة.

وزير الزراعة واستصلاح الأراضي

الأستاذ: أمين أحمد أباظة).

فإذا علمت أن "س، ص" أخذا قرضًا من وزارة الزراعة لتنفيذ مشروع الخياطة، دفعاه تأمينًا من أجل ترخيص مكتب اتصالات، وأن المحل تم إيجاره وفرشه بمبلغ خال "ص" السلف، حيث إنهما في مُعترك ما يُقبلان عليه. إذا كان احتمال بقاء الأول على قيد الحياة 9 %لمدة سنة واحدة، وأن بقاء الثاني 8 %، أوجد الاحتمالات الآتية:

1) احتمال بقاء الاثنين معًا؟

2) احتمال وفاة الاثنين معًا؟

3) احتمال بقاء واحد فقط؟

4) احتمال وفاة واحد فقط؟

قبل ما تحلوا المسألة ممكن أعطيكوا شوية مُعطيات جائز تساعدكم في الحل:

(1) مشهد في محل الاتصالات

"س" تُحدث "ص" في التليفون بعدما استبقت زبونًا يسأل عن بطارية "سامسونج"، نرى البطارية في يد "ص" عند عودته، في أثناء تجريب الزبون للبطارية نلمح فرحة مكسبهما، تسأله عن سعرها بعينيها، فيجيب بتحريك شفتيه دون صوت: عشرين. بعد اختفاء الزبون من الكادر نسمعهما يحسبان: عشرين وتتباع بأربعين يعني مكسب 100 الـ100، اللهم صل على كامل النور!

(2) مشاهد متتابعة

على خلفية أغنية تحمل كلماتها معنى المعاناة من أجل لقمة العيش، نرى "س، ص" في المحل يتتابع عليهما الليل والنهار.

تتوالى المشاهد، الزبائن خارجة داخلة، "س" تتحدث في التليفون، "ص" يأتي بقطع البضاعة بعد المكالمة، ثم ينقطع ورق النتيجة على الحائط فوق رأس "س" في تتابع أيامًا وشهورًا.

(3) يظهر إنه مشهد نهاية لمرحلة ما

س: هتمشي على اللي عملناه سوا؟

ص: هامشي.

س: ماتمدش إيدك على فلوس البضاعة.

ص: مش هامد.

تداخل

في البيت: "س" تطبخ و"ص" في الحمام يأخذ دُش.

- الأخبار إيه؟

- تمام.

- يعني الكروت زي ما هي؟

- وبتزيد كمان.

- خير. خير.

في الحمام ينظر "ص" لنفسه وهو تحت المياه، لم يتغير شكله يومًا بعد آخر؟ عُريه الكامل تحت الضوء يُذكره بيوم الحشر، يحمل كتابه وهو مبلول. لا يعرف إن كان البلل طال صفحات الكتاب أم إنها بخير. هل طُمست حروف حياته وأصبح بلا أي فعل؟ كيف سيُحاسب علي صحيفة افترش حبرها الكلمات فبعثرها!

....

....

يعترف "ص" أمامكم أنه لم يمش على ما عملاه معًا، لم تكن الأخبار "عال"، كما أن الكروت بدأت في التناقص بسبب قلة البيع وكثرة الطلبات.

بهذا يقتنع بأنه ليس له حول ولا قوة، لم يُقصر في شيء سوى بلِّ

صفحات كتابه تحت الدش. وحده الله يعلم ما حصل، حتى "س" لم تكن ترى شيئًا، يجوز من كثرة الديون وقلة الدخل.

على الرغم من ذلك كبرت قطعة اللحم الصغيرة وسط هذه التقلبات، كانت الحياة تمر عليهم حبه فوق وحبتين ثلاثة تحت، لكنهم إلى الآن مستمران، تحب تعرف إيه اللي حصل لهم بالظبط؟

رجع خطك القديم تاني هتاخد 2000 دقيقة مجانًا تكلمهم وتعرف منهم اللي حصل!

ثالثًا:

أ.. ب

اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

أ ب

(أ) إشهاد طلاق

رقم الدفتر: 0058046 **رقم الوثيقة:** 13

إنه في يوم. من شهر. سنة. الساعة. وبحضوري وعن يدي أنا/ علي فريد علي الحوفي مأذون ناحية شبرا وبحضور كل من:

1- 2-

حضر السيد "ص" بنفسه والسيدة "س" بنفسها وأصر الزوجان على وقع الطلاق.

قالت الزوجة لزوجها أبرأتك يا زوجي من مؤخر الصداق ومن نفقة عدتي حتى تبرأ منك شرعًا، ومن نفقة المتعة، وأسألك الطلاق على ذلك. فأجابها فورًا وانتِ طالق مني على ذلك.

وتصادقا بينهما على أنه الطلاق الأول بعد الدخول والمعاشرة،

وقد صارت السيدة "س" مُطلقة من السيد "ص" طلقة أولى.

مأذون الناحية

أ/ علي فريد علي الحوفي

• • •

(ب) شهادة وفاة

تُعطى مجانًا للمرة الأولى

مكتب صحة السيدة/ 13

محافظة القاهرة

اسم المتوفى: "س، ص"

نوع المتوفى: متزوجان

جهة الوفاة: مستشفى المنيرة

(يا ترى إيه اللي وصلهم مستشفى المنيرة؟ دول من شبرا!)

سبب الوفاة: قضاء الله وقدره وفي قول آخر

هبوط حاد بالدورة الدموية

• • •

قلم فحم

"الرواية الثانية"

الإهــداء

إلى سعيد عبد العال،
وإبراهيم أصلان
كيف تموتان هكذا!

وائــل

ترخيص بالدفن
123380/139

اسم المتوفى/ سعيد محمود عبد العال

عمر المتوفى/ 63

النوع/ ذكر

أسباب الوفاة/

تاريخ الوفاة/ 30/3/2009

اسم المبلغ عن الوفاة/ شريف رزق حسين

رقم البطاقة الشخصية/ العائلية للمبلغ عن الوفاة: 11080102176

رقم القيد بسجل الوفيات/ 139

تاريخ القيد/ 30/3/2009

مركز/ قسم:

محافظة: القاهرة

برقم: 139

وقد صرحنا بالدفن بجبانة: مايو

تحريرًا في: 30/3/2009

ختم مكتب الصحة إمضاء طبيب الصحة

مدخل

من تليفون بابا:

مدة آخر مكالمة/	16: 01: 00
مدة المكالمات المستلمة/	42: 42: 07
مدة المكالمات الصادرة/	22: 26: 19
مدة جميع المكالمات/	04: 09: 27

نوكيا 1200

الأوضاع:

1- عام

2- الزمالك عمهم.

3- (الحمد لله).

4- 0180188120

5- الإضاءة فقط.

6- أسلوبي.

ضبط نغمة الرنين على/ أول مرة تحب يا قلبي

الهزاز/ شغال

المنبه/ على الخامسة صباحًا.. يرن فيسكته ضاغطًا على "غفوة"، ثم غفوة في غفوة.. مدة كل غفوة خمس دقائق.

يقوم من السرير في السادسة إلا شوية، تحديدًا قبل نهاية الغفوة السابعة بدقيقة، طبعًا. هذا التحديد الزمني الدقيق يرتكن لبعض الفزلكة!

يُدير قرص السخان، يُحدث الإشعال الذاتي شرارة، بداية مرحلة التسخين.. بينما يُنهي حمامه.

يملأ جردل البويا القديم بالماء المغلي، يأخذ منه بالشفشق البلاستيك الموضوع على الغسالة ويصب من أعلى رأسه وسط سحابات البخار المتصاعدة.

في البعيد، كثيرًا ما حذرني من حموم المياه السُخنة ثم تترك جسدك للفعة هواء بارد، خصوصًا في الشتاء. على الرغم من أنه لا يستحم سوى بالماء المغلي في كل الفصول.

يخرج.. "مسلوق".. يلتف بالبشكير، يُبلل كل ما يمر به، يُطفئ عين البوتاجاز. ولّعها قبل دخوله، لكننا لن نقف لبعض على الواحده. يصُب الماء المغلي على كمية الشاي والسكر التي لقَّمها، يحمل "الماج" ثم يدلق بقية الماء على الملعقة ليغسلها. تُطرطش عليه قطرات مغليه لا تلسعه.

في الصالة يرتدي هدومه التي تركها فوق الكنبة من امبارح، يُحرك ONوOF الراديو على إذاعة القرآن الكريم.

الفانلة الداخلية تشرب زخات المياه الأولى على جسمه، من بعدها

"التي شيرت" بكمية أقل، فوقهم القميص والبلوفر الذي لا يطوله أي بلل.

يشد "كرسي بلاستيك" تجاه القبلة، يجلس يُصلي الصبح..

الشاي على أربع خمس رشفات. بعدما يتحسسه بطرف فمه في البداية.

سيجارة.. تعرف وقت انتهائها جيدًا، دائمًا آخر نفس وهو خارج من باب الشقة، يرمي عُقبها على السلم ثم يتذكرها في الدور الثاني خشية أن تكون ما زالت.. مولعة.

قبل خروجه ثمة 5 جنيهات وبعض الجنيهات الأخرى والأنصاف تظهر على الكنبة، يضع الفئات بالتوالي ثم يقطع ورقة اليوم من النتيجة ويقرأ حظه (الصبر مفتاح الفرج).

يكتب على ظهرها بعض الجُمل ويخرج.

أعرف أنه ينزل الآن بقدمه اليسري أولا، ساندًا على الدرابزين يجر اليمنى، سلِّمة.. سلِّمة.. يرتل آيات وأدعية تعرف هي الأخرى استمرارها معه حتى الشارع، ومن الشارع لغاية محطة الميني باص التي سريكب منها (107) يمر في خط سيره على 26 يوليو. مكان عمله.

معظم المرات يجلس على نفس الكرسي -خلف السائق- الذي ينادي عليه قبل الإسعاف لإيقاظه.

أبص عليه من خلف شيش شباكنا بالدور الرابع، يخرج من البيت، بعد عدة أمتار من "الزك" ينحرف يسارًا ويختفي.

كان لدي رغبة فى التبول أجلَتها حتى ينتهي، أتجه إلى الحمام الذي لم يزل بخاره يقطر قطرات وهمية على الماء البارد الذي ملأ به طبق الغسيل الكبير والغسالة وجردل البوهية قبل خروجه من الحمام، الماء الذي سنستعمله طيلة النهار في أغراضنا حتى تعود المياه في المساء.

في الصالة أقف أمام الكنبة أبحث داخل "الماج" عن رشفة شاي متبقية، بينما أحمل ورقة النتيجة من فوق الفلوس باليد الأخرى:

(أبنائي الأعزاء/

آدام الله عليكم وعلى الست الغالية أمكم الصحة والعافية وبعد:

إليكم الآتي:

1- خمسة جنيهات لوائل "ضروري يأخذها"

2- جنيه لداليا

3- جنيه لمحمود

4- ستون قرش لأحمد

والسلام عليكم جميعًا

لا إله إلا الله

سعيد،

الأربعاء 19/2/2000)

• • •

دعوة

N & S

يتشرف

الحاج/ محمود عبد العال و السيد/ رشاد عبد العال

بدعوة سيادتكم لحضور حفل عقد قران

نجل الأول كريمة الثاني

المهندس/ سعيد محمود عبد العال على الآنسة/ نادية رشاد عبد العال

وذلك بمشيئة الله في تمام الساعة السابعة يوم الخميس الموافق 2/1/1975 بمنزل العروس 4 حارة عبد الحميد ندا بشارع القضاعي بشبرا مصر

والعاقبة عندكم في المسرات

• • •

يا سعيد.. شُخ بعيد

على غرار يا عزيز.. يا عزيز، كان العيال صحابهُ ينشدونه ذلك النشيد، داخل حوش مدرسة "شبرا الابتدائية" بالساحل.

في البداية دعونا نعرف شيئًا مهمًا جدًا، خصوصًا أنكم "داخلين" معي في الغميق.

"سعيد" هذا رجل غلبان آخر حاجة، لا توجد له أهمية -تاريخية- خارج نطاق الأسرة والأقارب ودماغ العبد لله.. فقط للتنويه.

أبلغني بالنشيد بعدما لاعبته مرة. يا سعيد.. يا سعيد..

- أهو اللي بتقوله ده فكرني بالعيال في المدرسة.. كنت أمشي أنا وعمك "كمال" مروحين يفضلوا يغنوا ورايا.. يا سعيد.. شُخ بعيد.. وامسح ...... في الحديد..

طبعًا.. الآن.. أضحك، أبتسم تحديدًا من -كسفة- الرجل.. أثر العبارة.

- والله.. زي مابقول لك كده، وبعدين عمك يفضل يضحك عليًا.

- طب وعملت ايه؟

- ولا حاجه. بس "كمال" لما كُنا نتخانق يغني النشيد هو كمان.

- طب وده كان ليه أصلاً.

ينظر أمامه كأنه يبحث خلال السنوات عن السبب، يعود بعينيه تجاهي، يمسحهما من دموع الضحك.. والله ما انا عارف يا وائل!

• • •

حكاية.. البيجامة البمبي

منذُ ما يقارب الأربعين سنة ارتدت والدتي بيجامة "بمبي"، فلفتت نظر الوالد الذي لم ير فيها قبل ذلك سوى بنت عمه الصغيرة "المسلوعة" التي ليس لها طعم ولا لون ولا رائحة.

طبعًا لم تكن ماء، لكنه لما رآها على السرير جوار أمها كان رصيده العمري في الحياة عشر سنين، ذهب اليوم لسبوع ابنة عمه. أكيد سيكون هناك حلويات وأكلات كثيرة؛ يعرف أن عمه يحب الشراء بكميات غريبة.

لم يجد غير الزعل وبعض الفاكهة القليلة. عمه يرغب في ولد. لا يعرف الآن أن الولد سيجيء بعد ثلاث مرات من أمي.

خيبة أمله ذلك اليوم، كانت أولى كراهيته لبنت عمه، تداخلت بعد ذلك مرات، عملتها على حجره وبللت البنطلون فترسخت الكراهية.

خصوصًا أن البدلة كانت بدلة ضابط، المناسبة عيد الفطر المبارك.

ظل سنوات طويلة كلما رآها أحس بالقرف، رغبة ملُحة في ضربها. كبرت وكبر، ثم بدأت تتكون لتصبح أنثى، أعجبها ابن عمها "الحليوة" الذي ينام شعره "المسبسب" تحت "فازلين" له رائحة نفاذة، كلما رأته وشمتها أحست دقات قلبها.

على الجانب الآخر ظل هو متبنيًا نظرية الكراهية، لا سيما.. ليست جميلة، لا تلفت نظره إلا بالامتعاض!

لغاية أن ارتدت -صدفة- البيجامة البمبي، ذهب لزيارة عمه -لسبب ما- كان غير موجود، ولا أي فرد آخر في الشقة.

فقط.. هو، هي، والبيجامة البمبي!

• • •

ضي القناديل

يوم مات "عبد الحليم" كان أبي وردية ليل.

عندما حضر في الصباح دخل على أمي وهي تُشطفني فرحًا..

نادية.. نادية.. عبد الحليم مات!

إلى الآن، على الرغم من الإيمان الذي لونها، كلما حضرت السيرة ألمح غضبتها من "سعيد" على فرحه بموت العندليب.

المهم لما بدأ يغني عَلِّيت التليفزيون على الآخر. أشرت لسعيد بصرامة.

"استني يا سعيد.. خلينا نسمع.."

"سعيد".. صراحة.. مطيعاً لأبعد الـ..... طول الأغنية يكتم ضحكاته بداخله، يطبطب على صدره بخجل، عندما ينفلت صوته ويعلو..

"معلش.. معلش.."

بعد الأغنية/

"جرا ايه يا سعيد.. أنا مش قلتلك خلينا نسمع؟"

"معلش والله.. أصل افتكرت حاجة.."

"حاجة!"

"آه.. زمان، بعد ماكنت أخرج من الفيلم، أفضل أمشي في الجنايين وأغني. وبعدين. استنى. ومافيش!"

"مافيش إيه؟"

"مافيش موسيقى راضيه تطلع، ما أنا كنت فاكر ان الموسيقى بتطلع من وسط الشجر. مش عبد الحليم كان قدامك أهو؟ كان معاه موسيقى!"

"يا سلام!"

"والمصحف الشريف كنت فاكر كده.. أهبل بقى يا بني.. بعيد عنك.."

لم أرد إبلاغه باستمرارية هبله، تقريبًا وقتها لم يتضح لي ذلك.

لكنني قفشت نفسي في كثير من المرات

بالليل.. المزاج عال.. أمشي في الشوارع الخالية وأغني.. أغني.. أغني.. وبعدين أستنى، ومافيش!

• • •

يـوم..
السبت 13 يناير

• حـ حـ

- . 5 . - فول مدمس للفطار
- . 5 . - عيش
- . 50 . - حذاء لوائل ابني "أول حذاء له في الحياة"
- . 50 . 2 طقم توابل هدية لعواطف أخت رسمية
- . 10 . - قوطة
- . 10 . - مكرونة

• الأسعار.. بالقرش..

• • •

يــوم..

في يوم الخميس الموافق 23/3/1978 اشترينا كتاكيت من مرات حسني البقال التي علي ناصية حارة عمي رشاد، وكان عدد الكتاكيت خمسين "كتكوت"، منهم خمسة وعشرون لعم رشاد وخمسة وعشرون لنا، وثمنهم -أي الخمسين "كتكوت"- خمسة جنيهات بالنصف مع عمي رشاد.

وإننا ندعو إلى الله عز وجل أن يبارك فيهم ومايموتش منهم إلا عدد بسيط جدًا.. جدًا..

العبد لله الفقير

سعيد عبد العال

23/3/1978

• • •

مقطع من رواية أخرى!

... كان السيد "أبي" يطالع العرض بابتسامته الخفيفة ويهدهدني -صوتيًا- من مكانه، على السرير، يرسل من آن لآخر بعض التعليقات لأمي:

- يا سلام لو اقابله دلوقت. تفتكري يفتكرني..

- لو بقي في يوم رئيس لا بد أقابله وأفكره بـ "دنديل".

لما كبرت وأحببت الحكايات، حكى لي والدي عن "دنديل"، قاعدة جوية حربية على اسم قرية في بني سويف.

بعد 67 بشوية كان "مبارك" وقتها لواء أو عميدًا -مثلما يذكر أبي- قائد قاعدة "دنديل"، ذهب لزيارتها وكانت القاعدة بأكملها تقضي فترة حبس من الأجازات بأمر من قائدها. لسبب ما لا يتذكره الوالد بطبيعة الحال.

وقتها رسم والدي صورة بالحجم الطبيعي لـ"جمال عبد الناصر"، علقوها على مدخل مبنى القيادة. كان كل اللي يتفرج على الصورة يمد يده عايز يمسك "الباريه" الروسي اللي فوق رأس عبد الناصر!

الظاهر الصورة عجبته، إنما لم ينخدع في لمس "باريه" عبد الناصر.. متوهمًا إياه قص ولزق!

الحدث الأهم في تلك الواقعة التاريخية، بمجرد رؤيته صورة عبد الناصر في أثناء الزيارة سأل عمن رسمها، قالوا.. عسكري عريف/ سعيد عبد العال، أمر بنزوله أجازة أسبوع تاركًا بقية عساكر الوحدة في حبستهم.

سؤالان آخران مرواغان ومعقولان، كيف كان شعور زملاء الوالد في القاعدة تجاهه، وما السر في عدم انخداعية "مبارك" في "باريه".. عبد الناصر.. الروسي؟

- فاكره الأسبوع ده؟ ساعة البيجامة البمبي!

يظهر إن صوت الباجور -مغلوش- خلص على ودان أمي، لأن الراجل عمال يفتكر ويفكرها في هذا الجو المُعبأ برائحة إخراجاتي محاولاً نسيانها بدخان الزيت والبطاطس، بينما لا نسمع منها أي رد.

ممكن برضو إن صوت الباجور -مغلوش- على ودانّا إحنا، وان الست -يا عيني- افتكرت ورجعت كل ذكرياتها عن البيجامة البمبي التي كانت سببًا في جعل الوالد -ابن عمها- يُدرك أن تحت هذه البيجامة تنتظره رفيقة الحياة التي سيُتيم بها ويرسم لها صورًا كثيرة محاطة بالورود المقصوصة من أغلفة شيكولاتة.. زمان!

طشطشت البطاطس في زيت مقلاة السيدة "أمي" بينما أهز قدمي حول -القصرية- في سعادة غير مبررة.. اللهم البحث عن "ناهد".

أبي.. لمحته يُخرج من صندوق أسفل السرير كشكولا قديمًا، تخوف عقلي من فترة الراحة على -القصرية- سيتخللها عمل واجب الآن. بس أنا أول مرة أشوف الكشكول ده، بعدين أنا خلصت A.B.C امبارح مع ماما!

لكنه جلس على السرير، دلدل قدمه، فتح الكشكول، ابتسم وهو يقرأ كلمات عرفت بعدما كبرت والكشكول في يدي إنها:

منهج الترقي لدرجة عريف ممرض

تدريب عام سري جدًا

سعيد محمود عبد العال

تحبوا تشوفوا حاجه منه، على بال ما السيدة "أمي" تخلص قلي؟ أنا أحب..

= الأثنين 10/5/1971

مبادئ الحرب في إسرائيل

تهتم إسرائيل اهتمامًا بالغًا بتطبيق مبادئ الحرب المختلفة وتركز بصفة خاصة على المبادئ الآتية:-

طبعًا.. هكون غِلس وأقول اللي عايز يعرفها يسأل إسرائيل نفسها!

= الأربعاء 12/5/1971

"أمن حربي أمن أفراد"

إن الفرد أساس الأمن، ويتوقف نجاح الأمن على وعي الأفراد بالوحدة الـ.............

يا عالم أنا غِلس، وبعدين ده تدريب عام سري جدًا.. انتو عايزين

تودونا في داهيه والا إيه!

....

ملحوظة: العرض الذي كان يشاهده الوالد.. آخر مشاركة للسادات في احتفالات أكتوبر.

• • •

يـوم...

الجمعة 12 أكتوبر

نُقطة وائل عن الطهارة

1 . - . -	من جده محمود
2 . - . -	من جده رشاد
- . 50 . -	من ماجدة
- . 50 . -	من أم هشام
1 . - . -	من عمه كمال
- . 50 . -	من حسن ورسمية "ربنا يتم لهم بخير"
1 . - . -	من أم فوزية "خالة أم وائل زوجتي"

.. في هذا اليوم العظيم.. تم بحمد الله تعالى العلي القدير طهارة ابني وائل الحبيب في الساعة السابعة مساء عند دكتور اسمه أنور إسحاق في شارع الترعة.

سعيد،،

• • •

مشهد

تقترب الكاميرا عليهما من فوق/

حجرة: الظلمة لا تنفع معها اللمبة السهاري، لا يظهر سوى سرير عليه جسدان تحت لحاف فقير.

أنفاسهُما تتلاحق بوهن وخفوت، يتحركان ببطء وانسيابية تحت اللحاف..

الكادر لا يُظهر حركتهما البطيئة غير المكشوفة..

الأنفاس تشتد، تتخللها بعض التأوهات والضحك،

صوت أُنثوي متحشرج

- اكتم نفسك..

- هـ هـ هـ ....

- بسرعة...

"كلوز آب" بضوء خافت، يعلو الصوت المُصاحب لسرعة طرأت فجأة على الجسدين، غير معهودة من بداية المشهد، تقف ثواني على همدان الجسدين/

يتحرك من تحت اللحاف لينام على ظهره جوارها، يدها المُحنَاة تخرج آتية بفوطة صغيرة أسفل المخدة...

- كده غرقتنا.. اللي فاضل ربنا يبارك فيه..

تصعد الكاميرا ثانية ببطء دون رؤية وجهيهما، تنطفئ اللمبة السهاري ونسمع صوت قبلات خفيفة، ودغدغات، وضحكات صافية..

قطع.

....

....

ملحوظات:

1- زمن المشهد لا يتعدى خمس دقائق.

2- الرجل هو أبي.

3- الأنثى أمي.

4- أنا الذي سيبارك الله فيه!

• • •

روزا اليوسف

لا يذكر، ويمكن لا يعرف أصلاً ما سأرويه لكم بعد قليل.. الأستاذ "مصطفى حسين"، وقتها كان في "روزا اليوسف"..

أحدٌ ما -لا أذكره- كان سبب التعارف الذي تم بين الأستاذ و"عم سعيد".

جائز أن يكون طلب من الأستاذ مقابلة موهبة شابة.. إنما تملك حسًا فنيًا يستحق أن يراه

جائز أنه بلَّغ "عم سعيد" نفسه، أن الأستاذ يستقبل المواهب الشابة بمكتبه، لماذا لا يذهب إليه برسوماته.. لعل وعسى.

جائز أيضًا أن كل ذلك لم يحدث، لكنني لم أتعود الكذب من "عم سعيد"!

الفاضي.. منكم يستطيع طلب "140" دليل:

ممكن نمرة الأستاذ مصطفى حسين؟

تحت أمرك يا فندم.. هتسمع النمرة حالاً

من كرم "140" دليل ستسمع رسالة صوتية تُبلغك: لو أردت التحويل إلى النمرة المطلوبة اضغط الرقم واحد.

أنت الآن على السماعة، مع الأستاذ..

"مساء الخير يا أستاذ.."

"مساء النور"

"عذرًا.. كنت عايز أسأل حضرتك على حكاية.."

"حكاية.."

"حكاية عم سعيد"

"عم سعيد مين؟"

"عم سعيد اللي راح لك المكتب لما كنت في روزا اليوسف من 35 سنة... علشان....

طبعاً .. ذلك هو المتوقع، ليس قلة ذوق من الأستاذ إنه يقفل السكه في وشك..

إنت الغلطان..

شاهدين طبعًا إني قلت في البداية (حتى الأستاذ لا يذكر ما سأرويه لكم...) وبعدين دي ساعة تتصل فيها بأحد!

المفروض.. أن تصدقوا ما أقول.. أقصد هذا الفاضي طبعًا.. انتم كويسين وحلوين...

لكن أرجع أقول: الذي يُكذب الناس هو أصلاً كذاب.. بصراحة .. أرجو من هذا المتصل الفاضي أن يتركنا فورًا ويمشي، لا نريد كذابين بيننا!

أما الحكاية بسيطة جدًا: ذهب "عم سعيد" بواسطة الشخص المجهول عارضًا بعض الاسكتشات بالفحم على الأستاذ الذي عجبه الشغل فعلاً وأبلغ "سعيد" إمكانية أن يعمل معه في روزا اليوسف..

"سعيد" يا دوب مخلص جيش على الأبواب ترفرف بشاير مساعي والده لتعيينه بشركة "إسكو" للنسيج.

لما أبلغ أحد الأصدقاء بما قرر..

قال: حرام عليك، ترفض فرصة في روزا اليوسف علشان تشتغل في إسكو!

لم يقتنع بما قاله "سعيد" من أن "إسكو" تُعد من أكبر شركات الغزل والنسيج بعد شركة المحلة، وإن فاتك الميري لا بد من أن تتمرمغ في ترابه، ثم أنه يعني شوية الرسومات دي ممكن تأكل عيش؟

الصديق المُقتنص طلب من "سعيد" تعليمه الرسم، جلسة والتانية وبعدين أنا برضو خطوطي حلوة يا سعيد.

الآن.. هذا الصديق من أقدم رسامي روزا اليوسف، ولكي لا يخرج من بيننا كذاب آخر، يطلب "140" دليل ويسأل عن رقم هذا الرسام..

والله.. لا أعرفه..

هل يذكر هو ما حدث؟

• • •

كتبت داخل "جوجول" التفرقة العنصرية، قعد يرغي ويلت ويعجن وبعدين حدف بعض الأسطُر..

بيقول لك إيه: التفرقة العنصرية أول ما ظهرت كان عام 1442 ندما وصل الأمير البرتغالي (هنري البحار- henry the navigtor) إلى شواطئ الولايات المتحدة الأمريكية حاملاً على سفينته أول مجموعة من الزنوج المستعبدين من قارة أفريقيا ليبدأ بهم تجارة الرقيق.

ثم توسعت هذه التجارة بعد قيام الإسبان والهولنديين والإنجليز بعمليات صيد الزنوج الأفارقة من المستعمرات الأوربية بأفريقيا، وتوريدهم لأوروبا وأمريكا للعمل في الحقول والمصانع، خاصة مصانع حلج القطن.

بحلول عام 1790 كانت ولاية "فيرجينيا" تحوي وحدها 200.000 ألف أفريقي.. كعبيد..

....

العُهدة طبعًا على "جوجول" في صحة المعلومات التاريخية. ولكن،

على الرغم من أن "سعيد" لم يكن على أيامه "جوجول"، فإن الرجل أنجز كتابًا وحيدًا في حياته يتناول فيه موضوع التفرقة العنصرية، قال إن الإهداء كان إلى "سبارتاكوس"..

قلت: طب ليه ماخلتوش لدوجلاس!

قال إن "كيرك دوجلاس" لم يكن عمل الفيلم بعد.

"وفين الكتاب ده يا سعيد؟"

"ضاع.."

"كل النُسخ.."

"هي نسخة واحدة.."

"إزاي يعني.."

"نسخة المفروض إنها بروفة، جمعها جدك رشاد عنده في المطبعة، في انتظار إن صاحبها يوافق على نشر الكتاب.."

"وبعدين.."

"ولا قبلين.. النسخة اللي بخط إيدي والنسخة البروفة -الاتنين- كانوا في المكتبة اللي باعها عمك.."

"باعها.."

"آه.. كان فاضل له شوية نثريات لما جه يتجوز.. قلنا نبيع المكتبة اللي عندنا.. ويكمل"

"والكتاب.."

"في المكتبة.."

"النسخة.. والبروفة!"

"في المكتبة"

يـوم...

الأحد 16 إبريل

-. 3 .-	فول وعيش
-. 5 .-	جورنال الأخبار وروزا اليوسف
-. 12 .-	عصير قصب "أمام القصر العيني"
-. 3 .-	مواصلات أنا ونوسة وعمي "إلى القصر العيني"
-. 10 .-	لله "للراجل طالب حسنة في القصر العيني"
-. 2 .-	مواصلات عودة أنا ونوسة "من القصر العيني"
-. 8 .-	بيض للعشاء
-. 2 . 5	لتر جاز

= هذه المصاريف يوم الاثنين، ولكن كتبتها يوم الأحد خطأ وسهوًا..

سعيد

• • •

الإيمان..
يقتل الفن.

من 20 سنة بدأت أمي رحلتها الإيمانية.

الصلاة في المسجد، الجمعة في البداية، ثم الفجر له حالة نورانية حرام تفوتك، الانتهاء بإنما يُعمر المؤمنون بيوت الله..

وسط الرحلة توجد عدة محطات سريعة/

1 - الطرحة لستر شعرها داخل المسجد وخارجه.

2 - الخمار بعد الطرحة.

3 - طلب الإذن من جدي ومني.. ومن أبي..

"أم عبد الله" التي ستُصبح فيما بعد، والى الآن، رابعتها العدوية، هي التي أفتت بوجوب موافقة ذكور الأنثى على النقاب قبل التنقب.

"يا خبر إسود يا نوسة؛ يعني هتمشي زي العفاريت في الشارع! مش باين منك غير العينين.."

"لا يا بابا.. ما هو فيه بيشة.."

"كمان.."

جاء الدور على: والله يا ماما على كيف كيفك.. إنتي حرة.. وأنا مليش دعوة..

ثم دور "سعيد" الذي لم تسأله، هناك عهد فعله معها منذ الزواج وإلى أن رحل.. الموافقة على كل ما تريد.

ارتاحت أمي من قلبها وأبلغتنا

"كده أنا ضميري ارتاح.."

"يا نوسة اعقلي.. بلاش شغل عفاريت.."

"يا بابا حرام.. وبعدين أنا اسمي أم وائل.."

"ماشي يا حاجة!"

"يا رب اوعدنا"

لأن الرحلة طويلة.. طويلة، كانت لقاءات "أم عبد الله" كثيرة.. كثيرة..

كلمة من هنا، كلام من هناك.. حتى جاءت سيرة الرسم وعرفت رابعة أن زوج أم وائل يرسم والعياذ بالله!

وقتها نزل التشريع ببطلان هذا فورًا، والرجوع إلى الله عله يغفر ما فات.

"سعيد" يا عيني بقاله حوالى 3 أسابيع عمّال ينقل وش جدي من صورته الفوتوغرافية المربعة إلى لوحة الورق الكبيرة المربعة أيضًا..

تابعت مراحل نقل الوش من عين وأنف وشاربه الخفيف، حتى اكتملت الصورة في ساعة عصاري داخل بلكونة شقتنا، بالدور الرابع..

الجو عليل و"سعيد" فرحان وأنا أتابع أصابعه العبقرية!

"أهي ماما جايه م الجامع.. بقولك إيه، خبي الصورة واعملها مفاجأة.."

"مفاجأة إيه يا بني.. ما هي شايفاها كل يوم.."

طلعت السلم، دخلت الشقة مباشرة إلى البلكونة وهي تحدف النقاب والبيشة والخمار..

في لحظات رأيت صورة جدي مربعات.. مربعات صغيرة، تنهمر مطرًا على عيال الشارع..

ولم أر "سعيد"!

• • •

ورقة قديمة

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزتي ونور عيني/ أم أولادي (نوسة)

عزيزتي وروح قلبي/ الحبوبة (ديدي)

عزيزي وحياتي كلها/ الدكتور (وائل)

لقد وحشتوني جدًا جدًا والله العظيم، وربنا ما يحرمنيش منكم أبدًا يا رب.

وبعد

لقد نفذت تعليماتكم وحافظت على نظافة القُلة ولم أنم على السرير ولا على الكنبة علشان مفيش حاجه تتنعكش ونمت واقف على رجليّا جنب البوتجاز الجديد.

المهم يا روح قلبي يا نوسة

أعرفك بأن الكلمة الإنجليزي بتاعة وائل هي معناها تفاحة، وهي أول كلمة في كتاب الإنجليزي بتاعه خليه يكتبها بالراحة والهدوء..

وإلى اللقاء مساء اليوم والسلام

بابا سعيد

الأحد 28/10/83

س 17

1- الصينية..

عم سعيد أعطى بياناتي لكل من يعرف قبل دخولي الجيش/

"حسن المدبوح" أخوه عميد قوات مسلحة.. أبلغه بأني سأروح خدمات طبية، مدام "جورجيت" طيبة أصلاً، وتحبني.. حلفت زوج ابنتها بالمسيح الحي يوديني معاه.. نظم معلومات.

أما لواء معاش أركان حرب قال لسعيد سيوديني مكتب التعبئة والتجنيد اللي في أول دور م العمارة.. علشان يكون قصاد عينك يا رجل يا عجوز.

بعد ذلك.. كل من "عم منصور"، والأستاذ "رمسيس"، والشيخ "محمد" أبلغوه بالأماكن التي لا تخطر على البال لقضاء فترة تجنيدي.

كلم كل البشر لتوصياتهم حتى الذى لا يملك واسطة.. طلب منه دعوة خالصة لوجه الله..

أكيد، دارت في دماغه هذه الأفكار، بينما يشُق صحراء البدرشين في طريقه لمدرسة السكرتارية العسكرية التي رحتُ إليها.

عم سعيد دخل غلط هذه الصينية الصحراوية التي على حدها الشرقي تقبع مدرسة السكرتارية، من الغرب دخل.. رمال تشيلهُ ورمال تحُطه تحت شمس أواخر يوليو الحارقة.

2- الكتيبة الرابعة..

الجمعة، موعد زيارة المُجندين الأسبوعية، دخلت مركز التدريب من يومين، من حوالى ساعة بدأ الميكروفون ينادي على أسماء الجنود كلما حضر أحد لزيارتهم.

مجند/ سمير حنا توفيق – الكتيبة الثانية

مجند/ خالد أسعد حمدان – الكتيبة الأولى

العساكر التي تعرف بُعد قُراهم ونجوعهم عن المكان، نام بعضهم وحشر بعضهم نفسه مع الخارجين للزيارة، أهو.. يمكن أكلة حلوة.. حاجة هنا.. حاجة هناك، أضعف الإيمان سيرى مدنيين أكيد بينهم بنات وحريم.

كنتُ ضمن البعض الذي جلس للغسيل، خصوصًا أنه لم يمُر عليَّ غير يومين.

مجند/ وائل سعيد محمود – الكتيبة الرابعة

في الخارج، تحت المظلات غير النافعة مع تلك الشمس الغريبة، رأيته يقف بجوار دكة رخامية مُستطلعًا خروجي من البوابة.

كأنه فوجئ بي أمامه للحظات.. ضحك وأخذني في حضنه أخذتهُ الجميلة..

"والله معرفتكش.. كُلكم لابسين زي بعض، بعدين وشك اسود قوي ليه.. م الشمس؟"

"م الشمس طبعًا يا عم سعيد، انت بقالك دقايق ووشك اسود.. وإيه التراب ده كله!"

"دقايق.. أنا داخل في حوال ست ساعات مشي.."

"ست ساعات! دول زي بتوع السادات ولا إيه.."

أخرج علبة السجائر وولع واحدة، بعدما جلسنا وحكى عن الصينية التي دخلها بالغلط..

عيناي مع السيجارة طالعة نازلة على فمه، السجائر خلصت من امبارح، الكنتين سجائره تأتي كل أسبوع.. بعض المحترمين أعاروني سيجارتين، واحدة بعد بصل العشاء والثانية بعد بصل فطور اليوم.

هاموت على سيجارة، ولم أزل أدخن في الخباثة بعيدًا عن أبي رغم علمه بذلك..

"بابا.. معلش أنا عايز سيجارة ضروري، هاشربها بعيد وبعدين أرجعلك.."

أخذت أشفط الأنفاس متلاحقة، يحتلني شعور غريب بالنشوة..

"بس أنا جي أقعد معاك.. تعالى واشربها.. عادي"

أخرج الفرخة المحمرة والعنب والبوفتيك من حقيبة سوق قماش كبيرة، ثمة شنطة بلاستيك أخرى فيها معلبات.. معلبات..

"شايل ده كله ليه يا سعيد.."

كانت السيجارة في يدي ويدي بجوار فخذي تُخفي السيجارة تحت الدكة الرخامية..

"يا عم.. اشرب ولا يهمك، تعرف.. جدك محمود أول ما عرف إني بدخن قال إن السجاير دي مفيدة وحاجة حلوة خالص.."

3- الكولمان..

الجمعة الفائتة سألني "سعيد" عن أي شيء أريد، قلت إن نفسي في شوية ميه ساقعة..

جمعة اليوم وجدته يحمل حقيبة السوق البلاستيك في يد، وفي اليد الأخرى يتدلى "كولمان" مياه.. خرجت البرودة على سطحه بغواية!

في الإجازة القادمة وأنا داخل شارعنا، ستُسلم عليّ "أم ياسر" أمام معروضاتها المنزلية، تُبلغني بأنها لم تأخذ مقدمة للكولمان الذي اشتراه "عم سعيد" بالقسط من أجل سواد عيوني.. "أصل وائل جيشه في الصحرا ونفسه يشرب شوية ميه ساقعة.."

أفرغ الحقيبة، أخرج كيس عنب بناتي وغسله بالماء المثلج.. أشار إلى بعض علب السجائر في الكيس الآخر..

"أصل العنب البناتي لا يكون ساقعًا.. يبقى إيه.."

"طيب.. لغاية كده رضا قوي يا عم سعيد، ريح نفسك بقى م المشوار.. دول 3 شهور تدريب، يعني 12 جمعة يا حاج.."

"بُص يا وائل.. بإذن الله.. يعني.. كل جمعة هاجي أشوفك، مقدرش أعمل غير كده، وبعدين أنا بحب المكان هنا.. بيفكرني بأيام الجيش..".

• • •

هندسة ميدانية

الاثنين 10/5/1971

سري جدًا

الدرس الأول

الخنادق ومراحل إنشائها

1) حفرة الوضع راقدًا:-

تستغرق هذه الحفرة لحفرها 25 دقيقة بعمق 25 سم وتصل نسبة الخسائر فيها إلى 40 %.

2) حفرة الوضع مرتكزًا:-

تستغرق هذه الحفرة لحفرها 45 دقيقة بعمق 60 سم، وتصل نسبة الخسائر فيها إلى 25 %.

3) حفرة الوضع واقفًا:-

تستغرق هذه الحفرة لحفرها 60 دقيقة بعمق 110 سم، وتصل نسبة الخسائر فيها إلى 3 %.

• • •

أمام
دار القضاء العالي

مرة /

وهي الوحيدة التي حملت فيها حقيبة سفر، كبيرة، قديمة.. امتلأت بكثير من الكتب التي يمكن أن نقول عنها: كبرت عليها الدماغ.

بائع الجرائد أمام بريد الإسعاف، يفرش مجموعة كتب قديمة بجوار فرشة الصحف، وضعت الحقيبة أمامه: تشتري دول يا عم؟

ترك العم كشف الجرائد الذي لا يفارق يده، نظر إلى الحقيبة بعدما فتحتها وجثوت على ركبتي..

- عشرين جنيه يا بني..

- بس!

لم ير حتى مواضيع الكتب أو عناوينها، ناهيك عن الكمية الكبيرة.. ومجلات.. جرائد.. كل ده بعشرين جنيه، ده أنا أفرش بيهم جنبك ورزقنا على الله.

- كان غيرك أشطر..

لأنني لم أُجرب الشطارة من قبل –دون وهم– كنت في تمام

الثامنة صباحًا على رصيف دار القضاء العالي من ناحية شارع رمسيس..

بالضبط، أمام أكاديمية السادات.. أفرش مجموعة الكتب على ورق جرائد وأجلس على حقيبة السفر القديمة..

في خلال الساعة استقبل الرصيف مجموعة من الموظفين والعابرين..

"الكتاب ده بكام؟"

"ده.."

آي نعم "يوسف إدريس" رجل محترم، تعرفون أنه "تشيخوف" بلدنا.. لكنه لا يساوي –الآن– سوى الـ2 ج. رغم ذلك لم يشتره السائل.. لو رجع وفاصل في جنيه بحاله.. موافق.

"بكام ده.."

"بجنيه.."

"بنُص..."

حضر "عم سعيد" يحمل كيسًا بلاستيكيًا أسود..

- فيه حاجه يا بابا؟

- قلت نفطر سوا.. وبعدين هنفَعك..

- بس دي ساعة شغل عندك!

- ولا يهمك.. الأسانسير عطلان، على بال مانفطر يكون اتصلح إن شاء الله.

سألني عن أغلى كتاب على الفرش، دفع عشرين جنيهًا وتركه

في نفس مكانه، وضع الكيس بجواري ورجع إلى مأمورية ضرائب الأزبكية، يوسع أمام خطوته متجهًا إلى الأسانسير..

يفتح ويدخلهم بالتوالي: معلش يا بهوات، أصل كنت بودي الفطار لوائل..

....

مرة ثانية /

يظهر إن العشرين جنيه بتوع الراجل وشهم حلو، أول يوم بعت بـ 150ج، الثاني 100، 50، 70 لدرجة إن الحكاية دخلت دماغي وقلت أكمل.. متغاضيًا عن حقيقة أن معظم المُشترين من موظفي مأمورية الضرائب.

يحضرون بعد الساعة الثانية تلبية لدعوة "عم سعيد".. فين يا عم وائل الكتب؟

....

مرة أخيرة /

بعد حوالى أسبوعين -مدة تجربة الشطارة- جاء اليوم الأخير..

فرشت في الصبح، سلمت على "عم محمد" وعلى "سيد" بتاع المناديل عن يساري والواد "محسن" بياع كتب القانون على يميني.

وقف رجل سمين أحمر الخدين وأمسك بكتاب..

"بكام لو سمحت؟"

"من غير فلوس يا أستاذ نبيل.. مش الأستاذ نبيل فاروق برضوا؟"

"شكرًا.. شكرًا.."

أردت إبلاغه بتربيتي على سلاسل رجل المستحيل وملف المستقبل مثل الجميع، ومثلكم.

لكني لم أُرد زيادة سمنة الرجل واحمراره..

فاكرين "أدهم صبري" و"منى توفيق".. صراعات "سونيا جراهام"! يا سلااام!

هل هذا الهرج تتابع للذكريات، أم ما الذي يحدث!

"هو فيه إيه يا عم محمد؟"

"فيه إيه! بلدية.. البلدية يا عم وائل.."

بلدية.. آه.. إنما أين كانت تلك البلدية طوال الأسبوعين!

كل يوم يعدي عال العال، "عم سعيد" يحضر الفطور، يمكن يجيب بعد الظهر شوية فاكهة.. حاجة حلوة بعثها له الفندق الكائن في نفس العمارة..

على هذا، النهارده يوم نحس.. أين أنت يا سعيد...

وقف البوكس أمام الرصيف..

نزل منه عدة جنود وضابط شاب وسيم..

سار خلالنا يشير بكفه: اركب.. اركب..

يا خبر إسود! حتى أنا.. أركب إيه يا عالم! مليش دعوة بالمواضيع خالص.. تجربة شطارة ستحدفك في داهية!

ظهر "سعيد" آتيًا يجري بنشاط وسرعة لا تتناسبان مع خشونة ركبتيه.. إلى أن استقرت كفه على كتفي..

"معلش يا وائل اتأخرت عليك، والله يا بني كان قلبي حاسس.. ربنا يجازي اللي كان السبب"

"الظابط قال لي اركب.."

"تركب إيه.. هو فين.."

كان عاد مرة أخرى من عند نقابة المحاميين..

"انت ماركبتش ليه يا بني؟"

لكزني "سعيد" كي لا أُرد وأمتثل أمام الضابط..

"معلش يا بيه.. أنا آسف جدًا.. والنبي اعتبرني زي والد سعادتك.. يعني.. أقسم لك بالله العلي العظيم إنه آخر مرة هيقف هنا.. علشان خاطر ربنا.."

يظهر إن البيه كان ابن ناس لأنه ربت على كتف "سعيد".. خلاص يا حاج.. علشان خاطرك.. لكن لازم يمشي حالاً..

"حالاً.. حالاً.. طبعًا.. ربنا يعطيك الصحة يا بني.. ربنا يخليك لأهلك.."

يدعو "سعيد" وهو محني على الكتب يلُمها، ثم شخط فيَّ كي نمشي..

قفلت حقيبة السفر القديمة على بقية الكتب بسخط ناظرًا في عين الضابط، تاركًا "عم سعيد" ينادي عليّ وأنا أعبر 26 يوليو متجهًا لبائع الجرائد أمام مكتب الإسعاف..

تشتري دول يا عم!

• • •

الجميلات النائمات

يُصرح "ماركيز" بأن الرواية التي كان يرغب في كتابتها هي جميلات نائمات.. كاواباتا. تظل الرغبة داخله حتي يحققها على طريقته في عاهراته الحزانى..

صراحة.. رغبتُ أيضًا في أن يكتب "ماركيز" الرواية، رأيتها مُفصلة عليه بشكل ما..

كأن "كاواباتا" سرق منه عالمًا خاصًا.. وأبدع.

من جانب آخر تعتبر رغبة "ماركيز" استخسار الرواية في "كاواباتا"!

(قالت سيدة النُزل محذرة إيجوتشي العجوز: ليس من اللائق أن يصدر عنك أي تصرف يتسم بقلة الذوق.

ليس من اللائق أن تدُس إصبعك في فم امرأة نائمة،

أو تحاول في أي اتجاه آخر من هذا القبيل)[1]

....

....

١- ياسوناري كاواباتا.. الجميلات النائمات

في إحدى أماسي الأيام خلصت السجائر مني..

"سعيد" نائم، والجميع..

فتحت شنطته الجلد الصغيرة باحثًا عن سجائره الفرط..

وجدت الصورة..

الصورة التي استدعت بنات "منزل الجميلات النائمات".. فتاة يابانية ترفع ذراعيها أعلى رأسها، تُغمض عينيها، وتنام في وضع جنيني... عارية.

الله... ده "سعيد" له في المواضيع..

ما الذي يفعله بهذه الصورة؟

....

....

في إحدى أماسي الأيام كانت معي سجائر..

كنت أعرف أن شنطة "سعيد" الجلدية تحوي صورة أعجبتني..

كانت هناك شهوة!

....

....

بعد ذلك بسنين، حدثت مقابلات عديدة بين زوجتي وحماها "سعيد"..

تبوسه على خديه في كل لقاء، ينكسف، يحمر وجهه الأبيض.

تأتي ذكرى الصورة على دماغي من آن لآخر.. كلما حدث اللقاء..

هل أغار عليها من تلك البوسة؟

هل ما زالت الصورة في شنطته؟

ما الذي كان يفعله "عم سعيد".. بهذه الصورة؟

• • •

أيـام..

في يوم السبت الموافق 12/4/2003 ذهب محمود ابني ومعه صديقه محمود هريدي إلى معرض تابع لوزارة التخطيط يقوم بإدارته الأخ شريف رزق جار لنا بالمسكن، وأحضروا من المعرض لنا سخان أوليمبك "10 لتر" وبوتاجاز يونيفرسال "4 شعلة".

....

وفي يوم الأربعاء 9/4/2003 ذهبت أم وائل زوجتي إلى مكتب التعاقد للغاز الطبيعي ودفعت مبلغ 126ج ثمن الوصلة الأولى الخاصة بالبوتجاز.

....

وفي يوم الإثنين 14/4/2003 ذهبت أم وائل مرة ثانية إلى مكتب التعاقد للغاز الطبيعي ودفعت مبلغ 170ج ثمن الوصلة الثانية

الخاصة بالسخان..

وهذا للعلم والله الموفق..

ملحوظة هامة:

قسط البوتاجاز والسخان لمدة سنتين..

....

يوم الأربعاء 4/6/2003 حضر مندوب شركة إيديال وقام بتشغيل الغسالة الأتوماتيك، وبهذا يكون يوم الأربعاء 4/6/2003 هو أول يوم لتشغيل الغسالة الأتوماتيك التي اشتريناها بالتقسيط..

وهذا للعلم..

....

في يوم الأحد 10/8/2003 اشترينا جردل مسحوق "اكسترا" للغسيل الأتوماتيك.

....

"ملحوظة "

بدأ يوم الاثنين 5/5/2003 تشغيل الغاز الطبيعي فعلاً في الشقة، وتم الاستغناء عن الأنبوبة نهائيًا إن شاء الله...

وكل ذلك بأمر الله تعالى..

سعيد

• • •

حكاية الفنان الأخيرة

تمهيد..

تتداخل الروايات، بينما كل الشخوص خارج ذلك التداخل،
في مكان آخر -على رأي كونديرا-
يمثلون حيواتهم. فقط.

...

...

مستشفي المنيرة

ليلة أمس، ليلة ساهرة كأُخريات.. جاءت التاسعة صباحًا في أواخرها، لم أنم بعد.

الوالد.. تعبان.. تم نقله لمستشفى المنيرة.

وصف العنوان (الأخ شريف رزق جار لنا بالمسكن)..

رسمت هيكلاً لا واعيًا للرحلة.. عبر أنفاق المترو..

قبل صعود سلالم محطة شبرا الخيمة جاءت مكالمته الثانية تسألني عن مكاني..

أبوك.. تعيش انت..

بعد ذلك قلت لهم إن الدنيا لفت بيّا، الروح نزلت لغاية قدمي مُشعرة إياي بخوف كثيرًا ما حبس نفسي عندما كان يضبطني -أي أحد- عبر الحياة.. في شيء آثم.

الحقيقة.. لم أعرف ما الذي حدث وقتها، لكنني فكرت في تاكسي.. أكيد ستكون أجرته كبيرة لغاية المنيرة!

لم يُعجبني التفكير في أجرة التاكسي وأبويا.. تعيش انت..

على الرغم من ذلك ركبت ميكروباص لرمسيس ومنه شاورت لتاكسي "مستشفى المنيرة يا اسطى..".

تعمدت تعلية صوتي في التليفون الذي جاءني من والدتي..

تريد أن نأتي به لتغسيله في البيت، ويخرج من البيت..

حاضر.. حاضر.. عندها حق فعلاً، ليست المرة كأي مرة أخرى يمكن أن يعقبها مرات..

لن يظل -شويه- ثم يرجع، حقها أن تراه قبل الرحيل.

في نفس الوقت أردت -دون وعي- إبلاغ السائق بما حدث..

أردت إبلاغه بأن "عم سعيد" لن نراه بعد اليوم..

أنني لم أشعر بوحشته سوى الآن..

أنني لم أجلس معه طيلة حياتي بما يكفي.

هل سيراعي كل ذلك عند طلب الأُجرة؟

لم يجئ على بالي مواقف الموت الفائتة التي كنت فيها معاونًا مع المُصاب، مُعزيًا له ليس إلا.. خارج المشهد..

في ذات الوقت، لم يجئ على بالي أني سأخانق السائق قدام المستشفى بعدما لم تعجبه الخمسة جنيهات من رمسيس للمنيرة.. وطلب عشرة!

• • •

لو كان أبويا فنان!

في العاشرة من صباح أمس الاثنين الموافق 30/3/2009 توفي إلى رحمة الله تعالى الرسام الكبير "سعيد عبد العال" في مستشفى القوات المسلحة إثر أزمة قلبية حادة عن عمر يناهز الثالثة والستين..

وسيتم تلقي العزاء مساء اليوم في مسجد عمر مكرم..

ولد الفنان الراحل في الواحد والثلاثين من شهر ديسمبر سنة 1948 بحي شبرا بالقاهرة، نشأ في أسرة فقيرة، وكان أبوه يعمل طباخًا لدى أحد البشوات القُدامى.

لم يُكمل تعليمه بعد حصوله على دبلوم المدارس الفنية الصناعية من مدرسة شبرا الثانوية بحي الخازندار..

في سنة 1970، وفي آخر فترة تجنيده بالقوات المسلحة يُثني عليه الرئيس "جمال عبد الناصر" في عيد العلم بسبب صورة رسمها للسد العالي، ويعطيه مكافأة مالية وأجازة أسبوعًا.

بعد تلك الحادثة ينظر الفنان لمحاولاته القديمة في الرسم نظرة أخرى، في نفس التوقيت يتوسط أحد الأصدقاء لمقابلته بالفنان "مصطفى حسين" الذي رحب برسوماته وتم تعينه بمجلة روز اليوسف..

كان على مشارف الالتحاق بشركة "إسكو" للغزل التي تُعد ثاني أكبر الشركات بعد شركة المحلة، رغم ذلك يترك الفنان الشركة ويستمر يرسم في المجلة لسنوات..

حصل الفنان الراحل على عدة جوائز من بلدان مختلفة نذكر منها: جائزة الدولة التقديرية، وجائزة فينالي فينسيا..

الجدير بالذكر أن الفنان "سعيد عبد العال" هو والد الكاتب "وائل سعيد"..

كاتب هذه الرواية!

• • •

نسيت أن أُقبِّل أبي

لا أحد يعرف أنني أراك حتى الآن.

لا أريد أن أبلغهم بأنك تطلع لي..

بغير كلام نظل ننظر لبعض.

دعوت الله في أثناء غُسلك أن يفتح بيننا حجابًا كالذي فتحه بين "إبراهيم الخليل" وزوجته، صراحة.. خفتُ أول مرة.. رأيت على عينيك مهابة غريبة وموحشة تكاد تكون مخيفة.. هل يدعو الإنسان بما لا يستطيع حمله!

أتذكر المياه المنسابه على جسدك الأبيض وأنت نائم، كنت فقط.. نائم يا أبي..

لم أر الراحة على وجهك مثلما كانت وقتها.

هل قبلتك مثلما فعل الجميع قبل أن نُغلق عليك الكفن ونربطه؟

أظنني.. نسيت ذلك!

• • •

EZO

شنطة جلدية سوداء صغيرة
-من النوع الصيني-
تتدلى وسط حزام
-من نفس خامتها-
على ألين..
تستطيع من خلاله
توسع،
وتضيق،
المسافة بين كتفك.
والشنطة.
ثلاث سوست..
تُغلق ثلاثة جيوب هرمية في حجمها بالتوالي.. من المقدمة..
للنهاية:

الجيب الأول

مقص صدئ..

دبوس كبير مفتوح..

بقية عود بخور..

ميدالية بلاستيك بها حلقة مقطوعة..

أوستيك ساعة معدن قديم..

....

....

....

....

....

....

الجيب الثاني

شلن فضة..

جفت..

مفتاح نمرة 5..

مسمار قلاووظ عريض..

حلقة ميدالية خُطاف..

قلم جاف غريب وقصير جدًا..

كيس بلاستيك مقفول على حبتين فياجرا 120 مقصوصتين..

حبة Tiger على خلفيتها الكبيرة صورة نمر شرس يفتح فمه..

حبتان متجاورتان Panadol للصداع..

صورة الجميلات النائمات..

....

....

....

....

....

....

الجيب الثالث

شنطة بلاستيك صغيرة داخلها أخرى أصغر..

ولاعة على شكل قطة..

أذكار الصباح والمساء..

شريط ساتان فيونكة أبيض × دم الغزال مكتوب عليه..

(سُهيلة لما تدلع

تخلي الدنيا تولع 9/5/2007)..

إعلان على نتيجة صغيرة..

الصفوة لبيع وتقسيم الأراضي..

....

....

....

....

قلم فحم.

•••

تمت بحمد الله وفضله

30/3/2009

28/5/2012

التعريف بالكاتب

وائل سعيد محمود عبد العال

"قاص وروائى"

الإصدارات الأدبية:

- كالعادة تحدث كل الأشياء - مجموعة قصصية - تاريخ صدوره :1999.

تحت الطبع:

- حكايات عن إساءة الفهم – مجموعة.
- البرنامج العام – مجموعة

الجوائز:

- المركز الثاني والثالث في عدة دورات من مسابقة رامتان (طه حسين)

الجوائز:

- المركز الثاني والثالث في عدة دورات من مسابقة رامتان (طه حسين)
- بعض جوائز قصور ثقافة / روض الفرج – الريحاني – شبرا الخيمة
- المركز الاول في مسابقة شعر العامية .. تجليات القاهرة ..(قصدية منفردة)
- المسابقة المركزية لقصور الثقافة
- مسابقة المواهب – دورة إبراهيم أصلان